ديوان صالح الكواز

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

ترجمة صاحب الديوان

أسرته، مولده ووفاته، أولاده، مجمل أحواله، صفاته، ورعه وصلاحه، دراسته وتحصيله، نظرة في شعره، منزلته الشعرية، أقوال مشاهير شعراء عصره في حقّه، معارضة الشعراء لبعض قصائده، اجتماعه بالشاعر الأخرس البغدادي، اجتماعه بالشاعر عبد الباقي العمري، ديوانه.

يعتبر الشيخ صالح الكواز من أبرز شعراء عصره وأدباء دهره، ولعلّني أوّل مَنْ كتب عنه وترجم له، فقد سبق أن نشرت ترجمة لأخيه الصغير الشيخ حمادي الكواز في مجلة الاعتدال النجفية سنة ١٣٥٤ هـ[١]، وفي ضمنها تعرّضت لذكر أخيه الكبير الشيخ صالح الكواز (صاحب الديوان)، وبعد ذلك ترجمت لهما معاً في كتابنا (البابليات)[٢].

ولم يكتب عن المترجم أحد من المؤرّخين والباحثين إلاّ العلاّمة الزركلي في كتابه (الأعلام)[٣] الذي نقل كلّ ما كتبه عنه من كتابنا (البابليات)،

---

١ - العدد ٩ من المجلد ٣.

٢ - الجزء الثاني الصادر سنة ١٣٧٠ هـ.

٣ - ص ٢٨٣.

كما وكتب عنه سيدنا الأمين (رحمه الله) في كتابه الكبير (أعيان الشيعة)، ولكنّه اختلطت لديه ترجمته بترجمة أخيه الشيخ حمادي؛ فذكر عن شاعرنا المترجم بأنّه كان كأخيه الشيخ حمادي سليقي النظم، يقول فيعرب، ولا معرفة له بالنحو، في حين أنّ ذلك مخالف للحقيقة والصواب؛ لأنّ المترجم كان على جانب عظيم من الفضل والتضلّع في علمي النحو والأدب - كما سنفصّل ذلك -، بخلاف أخيه الشيخ حمادي الذي كان أُميّاً لا يعرف من النحو والعربية شيئاً، بل كان ينظم على الذوق والسليقة.

وشاعرنا المترجم هو أبو المهدي الشيخ صالح ابن المهدي ابن الحاج حمزة عربي المحتد، يرجع في الأصل إلى قبيلة (الخضيرات)، إحدى عشائر شمّر المعروفة في نجد والعراق، وأُمّه من أُسرة آل العذاري المعروفة بالفضل والأدب.

كانت ولادته سنة ١٢٣٣ هـ، ووفاته في شوال سنة ١٢٩٠ هـ، كما قرأت ذلك بخطّ معاصره الشيخ الأديب علي بن الحسين العوضي؛ فيكون عمره (٥٧) سنة، ودُفن في النجف الأشرف.

وممّا يدلّك على سمو مكانته إقامة مجلس العزاء والفاتحة له من قبل العلاّمة الكبير السيد مهدي القزويني، وقد رثاه نخبة من فطاحل شعراء عصره، وفي مقدّمتهم الشاعر المشهور السيد حيدر الحلّي الذي رثاه بقصيدة مثبّتة في ديوانه المطبوع مطلعها:

كــلّ يــومٍ يســومني الــدهرُ ثكــلا ويــريني الخطــوبَ شــكلاً فشــكلا

كما رثاه الشيخ محمّد الملا بقصيدة مطلعها:

قــالوا تعــزّ فقلــتُ أيــنَ عزائــي والبــينُ أصــمى ســهمهُ أحشــائي

ولئن عاش ومات أخوه الشيخ حمادي أُميّاً فقد كان صاحب الديوان يعدّ في طليعة أفاضل الفيحاء في عصره علماً وأدباً، ودرس النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان على خاله الشيخ علي العذاري، والشيخ حسن الفلوجي، والسيد مهدي السيد داود[1]، وتخرّج في الفقه وعلوم الدين على العلاّمة السيد مهدي القزويني، وبالإضافة

---

١ - وقد ترجمنا لكلّ واحد منهم في كتابنا البابليات.

إلى ذلك كلّه فنحن نجد في ثنايا أشعاره ما يستدلّ به على تضلّعه في جملة من العلوم الرياضية وغيرها، كقوله على اصطلاح المنطقيين:

شـــاركنها بعمـــومِ الجـــنسِ وانفـــردت عـــنهنّ فيمـــا يخـــصّ النـــوعَ مـــن نســـبِ

وعلى اصطلاح الكلاميين قوله:

لـــــو رامـــــهُ العقـــــلُ المجـــــرد عـــــادَ في طـــــرفٍ حســـــير

ولكي نرسم للقارئ الكريم صورة تامّة عن شاعرنا المترجم نذكر بأنّه كان خفيف شعر العارضين، أسمر اللون شاحبه، رثّ الثياب، كثير الصمت، وكان يتعاطى مهنة أبيه وهي بيع (الكيزان) والجرار والأواني الخزفية؛ ولذلك أشتهر بـ (الكوّاز).

وكان مع رقّة حاله، وضعف ذات يده يحمل بين جنبيه نفساً أبية تفيض عفةً وشرفاً وعزةً وكرماً، متعففاً عمّا في أيدي الناس، قانعاً بما قُدّر له من الرزق، مترفّعاً عن الاستجداء بشعره، فما ورد عنه في هذا المجال أنّه طلب إليه أحد ذوي الجاه والسلطات الرسمية في الحلّة أن ينظم له أبياتاً في رثاء أبيه، ويؤرّخ فيها عام وفاته؛ لتُنقش على صخرة تُبنى على ضريحه في مقبرة (مشهد المقدّس)، وبذل له على ذلك بتوسّط أحد أصدقائه ما يُقارب الأربعين ليرة عثمانية، فامتنع عن ذلك مع شدّة حاجته وعظيم فاقته؛ لأنّه كان لا يزفّ عرائس أفكاره الأبكار إلاّ لأهل البيت الأطهار (عليهم السّلام)، وإذا تعدّى ذلك فإلى بعض الأُسر العريقة بالعلم والأدب، الشهيرة بالمجد والشرف، كآل القزويني في الحلّة، وآل كاشف الغطاء في النجف الأشرف، وآل كبّة في بغداد، وآل الرشتي في كربلاء وأضرابهم.

وكان يجمع بين الرقة والظرافة، والنسك والورع، والتقى والصلاح، فقد قال عنه علي ابن الحسين العوضي: كان على ما فيه من الظرف ناسكاً ورعاً متهجداً، يحيي أكثر لياليه بالعبادة، طابق اسمه مسمّاه، لطيف المحاضرة، حاضر الجواب، سريع البديهة، لطيفاً في كلّ فصل وباب، وقال عنه أيضاً: كان يسكن محلّة (التعيس) إحدى محلاّت الحلة الشمالية، ويُقيم صلاة الجماعة في أحد مساجد الجباوين بالقرب من مرقد أبي الفضائل

ابن طاووس، وللناس أتمّ وثوق في الائتمام به انتهى.

وإلى ذلك أشار مَنْ رثاه من الشعراء، فقد ورد في مرثية السيد حيدر الحلّي له بقوله:

ثـــكلُ أُمِّ القـــريضِ فيـــكَ عظـــيم ولأُمّ الـــــصلاحِ أعـــــظمُ ثكـــــلا

قـــد لعمـــري أفنيـــتَ عمـــركَ نســـكا وســـلختَ الزمـــانَ فرضـــاً ونفـــلا

وطـــويتَ الأيـــامَ صـــبراً عليهـــا فـــتساوت عليـــكَ حزنـــاً وســـهلا

طالمـــا وجهـــكَ الكـــريمُ علـــى اللّـــه بـــهِ قـــوبلَ الـــحيا فاســـتهلا

وإلى ذلك أشار أيضاً الشيخ محمد الملاّ في مرثيته له بقوله:

ذهـــبَ الـــردى منـــهُ بـــنفسٍ مكـــرم ومنـــــزّهٌ عـــــن ريبـــــةٍ وريـــــاءِ

يبكيـــكَ مســـجدكَ الـــذي هـــو لم يـــزل لـــــكَ في صـــــلاةٍ مزهـــــراً ودعـــــاءِ

وقد أعقب المترجم من الولد ثلاثة: هم الشيخ مهدي، والشيخ عبد اللّه، وعبد الحسين، وقد ذكر الشاعر ابن الملاّ في قصيدته التي رثاه بها اثنين منهم، ولم يذكر الثالث؛ لصغر سنّه يومذاك، وكلّهم توفوا بعد أبيهم بمدّة وجيزة، ولو عاش أصغرهم لأحيى ذكر أبيه وهو عبد الحسين، الذي كان أبوه قد وكل أمر تربيته وتعليمه القرآن إلى المرحوم الشيخ محمد الملاّ يوم كان هذا الشيخ تجتمع إليه تلاميذه في جامع ملاصق لداره، فمرض ابن الكوّاز المذكور يوماً مرضاً عاقه عن الحضور عند مؤدّبه. فلمّا أبلّ من مرضه كتب معه أبوه إلى أُستاذه رقعة هذا نصها: كان عبدك مريضاً، وليس على المريض حرج، وهذا تكليف رفعه اللّه عنه، فارفع تكليفك عنه، وضع العفو مكان العصا.

فأجابه الشيخ محمد الملاّ وذلك سنة ١٢٨٥:

أصـــالح أنّـــا قـــد أردنـــا صـــلاحَ مَـــنْ أرادَ بطـــولِ البعـــدِ عنّـــا تخلّصـــا

فـــإنّ العصـــا كانـــت دواهُ وإنّنـــا رفعنـــا العصـــا عنـــهُ وإن كـــانَ قـــد عصـــى

ولما توفّي والده المترجم صار يدرس ولده عبد الحسين المذكور قواعد اللغة العربية وآدابها على العلاّمة السيد محمد القزويني (طاب ثراه)، وله من العمر (١٥) سنة،

فامتدح أُستاذه السيد بقصيدة تائية - كما حدّثني بذلك السيد القزويني نفسه - وقال: ظننت أنّها من قصائد أبيه، وقد انتحلها لنفسه؛ لرقة ألفاظها، وحسن معانيها، فنظمتُ له هذين البيتين طالباً منه تشطيرهما على سبيل الاختبار والامتحان:

لقد قيلَ لي إنّ عبد الحسين ... بنظمِ القريضِ غدا فائقا
فقلتُ النظامُ مع الامتحان ... يُرى كاذباً فيهِ أو صادقا

فشطرهما مرتجلاً وقد أحسن كما ترى:

لقد قيلَ لي إنّ عبد الحسين ... بنهجِ أبيهِ غدا لاحقا
وها هو قاربهُ إنّه ... بنظمِ القريضِ غدا فائقا
فقلتُ النظامُ مع الامتحان ... قد فضحَ الشاعرَ السارقا
فدعهُ يشطّرُ بيتي كي ... يُرى كاذباً فيهِ أو صادقا

قال السيد القزويني: فاعتقدت عند ذلك أنّ القصيدة له فأجزته عليها، وقد توفّي عبد الحسين المذكور حوالي سنة ١٢٩٥ هـ، وهو ابن نيف وعشرين سنة تقريباً، ولم نعثر على شيء من شعره[١].

وبعد أن انتهينا من ترجمة حياته لا بدّ لنا من إلقاء نظرة سريعة في أدبه، وإعطاء صورة واضحة للقارئ الكريم عن شاعرية هذا الشاعر الفحل، الذي كانت له مكانة أدبية كبيرة، وشاعرية يُشار إليها بالبنان، وناهيك بمَنْ يطريه شاعر عصره على الإطلاق السيد حيدر الحلّي، فيقول عنه في تصديره إحدى قصائد المترجم في كتابه (دمية القصر) المخطوط ما هذا نصه: أطول الشعراء باعاً في الشعر، وأثقبهم فكراً في انتقاء لئالي النظم والنثر، خطيب مجمعة الأدباء، والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء.

وقال عنه أيضاً في الكتاب المذكور وهو في صدر التقديم لإحدى قصائده: فريد الدهر، وواحد العصر، الذي سجدت لعظيم بلاغته جباه أقلامه، واعترفت بفصاحته فضلاء عصره وأيامه، وفاق بترصيع نظامه وتطريز كلامه أرباب الأدب من ذوي الرتب، ومن

---

١ - ترجمنا له في كتابنا البابليات ٢ / ١٠٨.

رأيه في النظم على كلّ رأي، أديب راجح الشيخ صالح الحلّي.

وسُئل الحاج جواد بذقت أحد شعراء كربلاء المشهورين في عصر الكوّاز[1] عن أشعر مَنْ رثى الإمام الحسين بن علي (عليه السّلام) فقال: أشعرهم مَنْ شبّه الحسين بنبيين من أولي العزم في بيت واحد، وهو الكوّاز بقوله:

كأنّ جسمكَ موسى مُذ هوى صعقا وإنّ رأسكَ روحُ اللّهِ مُذ رُفعا

إلى غير ذلك من أقوال عارفي فضله، ومقدّري مكانته الأدبية وشاعريته اللامعة.

وقد ذاع شعره، واشتهر ذكره، وتناقل المنشدون والخطباء في المحافل الحسينية قصائده في أهل البيت (عليهم السّلام)، فكانت تُتلى وتُنشد في شتى المناسبات، وفي أُمّهات المدن العراقية، كبغداد والحلّة، والنجف الأشرف وكربلاء والبصرة، وأنت حين تُمعن النظر في شعره تجده يمتاز على شعر غيره ممّن عاصره، أو تقدّم عليه، أو تأخّر عنه فيما أودعه من التلميح، بل التصريح على الأغلب إلى حوادث تاريخية، وقصص نبوية، وأمثال سائرة؛ ليتخلّص منها إلى فاجعة الطفّ، ممّا يحوج القارئ إلى الإلمام بكثير من القضايا والوقائع، ومراجعة الكتب التاريخية.

ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ ذلك فنّ من فنون الصناعة البديعية الشعرية، الذي قلّ مَنْ حاكاه فيه من أدباء عصره وغيرهم.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه كان يمتاز بالرصانة في التركيب، والرقّة في الألفاظ، والدقّة في المعاني والإبداع في التصوير، وإليك بعض الشواهد على ذلك من قصائده المتفرّقة فمنها قوله:

وهل تؤمنُ الدنيا التي هي أنزلت سليمانَ من فوقِ البناءِ المحلّقا

ولا سدّ فيها السدّ عمّنْ أقامه طريق الردى يوماً ولا ردماً لقى

مضى من (قصي) مَنْ غدت لمضيّه كوجهِ (قصير) شانه جذعٌ منشقا

ومن بائيته في شهداء الطفّ:

تأسّى بهم (آلُ الزبير) فذلّلت (لمصعبَ) في الهيجا ظهورُ المصاعبِ

ولولاهم (آلُ المهلّبِ) لم تمت لدى واسطَ موتِ الأبيّ المحاربِ

---

١ - سيأتي ذكره في آخر هذا الديوان.

و (زيـدٌ) وقـد كـانَ الإبـاءُ سـجية لآبائـهِ الغـرّ الـكرامِ الأطـايبِ
كـأنّ عـليهِ أُلـقي الـشبحُ الـذي تـشكّلَ فـيهِ شـبهُ عـيسى لصـالبِ

ومن نونيته قوله:

وقفـوا معـي حـتى إذا مـا استيأسـوا (خلصـوا نجيّـاً) بعـد مـا تركـوني
فكـأنّ (يوسـفَ) في الـديارِ محكـم وكـأنّني بـ (صـواعهِ) اتهمـوني

ومنها:

نبـذتهم الهيجـاء فـوق تلاعهـا كـالنون ينبـذ في العـرا (ذا النـون)
فتخـال كـلا ثم (يـونس) فوقـه شـجر الفنـا بـدلا عـن (اليقطـين)

وقوله:

فليبـكِ (طـالوتُ) حُزنـاً للبقيّـةِ مـن قـد نـالَ (داودَ) فيـه أعظـمُ الغلـبِ

وقوله:

وهـادرُ الـدمِ مـن (هبـارٍ) سـاعةَ إذ بـالرمحِ هـودجَ مَـنْ تنمـى لـهُ قرعـا

وتجد في خلال شعره ما هو جدير بان يكون من الامثال السائرة والحكم الخالدة كقوله:

وإنّ امـرئً سـرنَ الليـالي بضـعنه لأسـرعَ ممّـنْ سـارَ مـن فـوقِ أنيـقِ

وقوله:

ولـو لم تـنم أجفـانُ عمـرو بـن كاهـل لمـا نالـت النمـرانُ منـهُ منالهـا

وقوله:

والفضـلُ آفـةُ أهليـهِ ويوسـف في غيابـةَ الجـبِّ لـولا الفضـلُ لم يغـبِ
وحسـنُ نصـر بـن حجّـاج نفـاهُ وفي سـواهُ طيبـة منهـا العـيشُ لم يطـبِ

وقوله:

وإذا مـا الكـريمُ جـاءَ بعـذر فالـذي منـهُ يقبـلُ العـذرَ أكـرمُ

وقوله:

ومَـــنْ شـــاطرَ النـــاسَ أموالـــه فقـــد شـــاطرتهُ الرضـــى والغضـــبُ

وقوله:

ولربمـــا فـــرحَ الفـــتى في نيلـــه أربـــاً خلعـــنَ عليـــهِ ثـــوبَ حـــزينِ

وإذا أضـــلَّ اللّـــهُ قومـــاً أبصـــروا طُـــرقَ الهدايـــةِ ضـــلّةً في الـــدينِ

وقوله:

إذا كانـــتِ الأبنـــاءُ فيهـــا شمائـــل لآبائهـــا فالأُمّهـــاتُ نجائـــبُ

وحين نظم نونيته العصماء التي رثى بها أهل البيت (عليهم السّلام) ومطلعها:

هـــل بـــعدَ موقفنـــا علـــى يـــبرين أحـــيا بـــطرفٍ بالـــدموعِ ضـــنين

هـــم أفضـــلُ الشـــهداءِ والقتلـــى الأُلى مـــدحوا بـــوحي في الكتـــابِ مبـــين

لا عيـــبَ فـــيهم غـــيرَ قبضـــهم اللـــوا عنـــدَ اشـــتباكِ الســـمرِ قـــبضَ ضـــنين

عارضها جماعة من مشاهير شعراء ذلك العصر وزناً ورويّاً، وفي مقدّمتهم السيد حيدر بقصيدته التي يندب في أوّلها الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ومطلعها:

إن ضـــاعَ وتـــركَ يـــابنَ حـــامي الـــدين لا قـــالَ ســـيفكَ للمنايـــا كـــوني

ومنهم الشيخ حسن قفطان النجفي بقصيدته التي رثى فيها العباس بن علي (عليه السّلام) ومطلعها:

هيهـــاتَ أن تجفـــوا الســـهادَ عيـــوني أو أنّ داعيـــةَ الأســـى تجفـــوني

ومنهم الشيخ محسن أبو الحبّ، خطيب كربلاء المتوفّى سنة ١٣٠٥ هـ بقصيدة مطلعها:

إن كنـــت مشـــفقة علـــي دعيـــني مـــازال لومـــك بـــالهوى يغـــريني

ومنهم صديقه الحاج جواد بذقت الحائري إلاّ أنّ قصيدته مضمومة القافية وأوّلها:

فـــوقَ الحمولـــةِ لؤلـــؤ مكنـــون زعـــمَ العـــواذلُ أنّهـــنَّ ضـــعونِ[1]

ومنهم الشيخ عبد الحسين شكر النجفي المتوفّى ١٢٨٥ بقصيدة رثى فيها الإمام

---

١ - ممّا يجب التنبيه عليه هو أنّ صاحب كتاب شعراء الحلّة قد ترجم لصاحب الديوان، ونقل ممّا أثبتناه في كتابنا (البابليات) جملة من شعره، ثمّ أراد (الباحث) أن يأتي بشيء جديد لم يأت به غيره؛ فنسب له هذه القصيدة النونية وأورد منها (٢١) بيتاً وهي ليست للكوّاز، وإنّما هي للحاج جواد المذكور كما أثبتها السيد الأمين في الجزء السابع عشر من (الأعيان) ص ١٨٨، نقلاً عن (الطليعة) للسماوي، وهي مدونة في كثير من المجاميع المخطوطة، ومثبّتة بديوان الحاج جواد بذقت الذي كانت نسخة الأصل منه في مكتبة سادن الروضة الحسينية.

ومن الجديد الذي جاء به قوله: إنّ المترجم دخل يوماً على صديقه الشاعر عبد الباقي العمري ولم يعرفه، وكان عنده ساقياً - كذا - للقهوة اسمه مالك قال فيه:

قلـــــتُ مـــــا الاســـــم فـــــدتك الـــــنفسُ مـــــنّي قـــــالَ مالـــــك

فقال الكوّاز:

قلـــــتُ صـــــف لي خـــــدّكَ الـــــزا هـــــي وصـــــف حســـــنَ اعتـــــدالك

وليعلم القارئ أنّ هذا الشعر الذي نسبه للكوّاز والعمري ليس لهما، وإنّما البيتان هما من أبيات نظمها شاعر قديم سبق الكوّاز والعمري، وصاحب كتاب شعراء الحلّة بستمئة عام، وقد أوردها صاحب شذرات الذهب ابن عماد الحنبلي المتوفّى (١٠٨٩)، وذكرها في حوادث سنة (٦٥٤)، حيث قال: وفيها توفّى الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أدنبا الذي بنى الخانقاه المجاهدية بدمشق، ومن نظمه في مليح اسمه مالك قوله:

ومـــــليحٌ قـــــلتُ مـــــا الاســـــم حبـــــيبي قـــــالَ مالـــــك

قـــــلتُ صـــــف لـــــي وجـــــهك الزاهـــــي وصـــــف حســـــنَ اعتـــــدالك

قـــــالَ كـــــالغصنِ وكـــــالبدر ومـــــا أشبـــــه ذلـــــك

وذكر للكوّاز قطعة مطلعها:

يـــا ابنـــةَ العـــامري هـــل للمشـــوق رشـــقةً مـــن طلـــى لمـــاكِ الرحيـــقِ

ونسى أنّه نسبها لأخيه الشيخ حمادي في الجزء الثاني من كتابه المذكور.

علي بن موسى الرضا (عليه السّلام) ومطلعها:

مـــــاذا أصـــــابَ عـــــوالمَ التكـــــوين فتجلبيـــــت أقمارهـــــا بـــــدجونِ[1]

ومنهم الشيخ سالم الطريحي المتوفّى بعد الكوّاز ببضع سنين بقصيدة في رثاء الإمام الحسين (عليه السّلام) مطلعها:

أبـــــدارِ وجـــــرة أمْ علـــــى جـــــيرون عقلـــــوا خفـــــافَ ركائـــــبٍ وضـــــعونِ

وهذه المعارضة لقصيدته تلك من قبل شعراء عصره المشهورين تدلّك - بلا شك - على شهرته ومكانته العالية.

ولشاعرنا المترجم أبيات مشهورة مثبّتة في محلّها من هذا الديوان أوّلها:

وشـــــاعرٌ مـــــلا الأوراقَ قافيـــــة ويحســـــبُ الشـــــعرَ في تســـــويدِ أوراقِ

وآخرها بيته المشهور المعروف:

أخرســـت (أخـــرس) بغـــدادَ وناطقهـــا وما تركت (لباقي) الشعرِ من باقي[2]

وقد صادف بعد ذلك أن اجتمع بالسيد عبد الغفار الأخرس المشار إليه بهذا البيت، وذلك على ما حدّثنا به سيدنا الأستاذ العلاّمة السيد محمد القزويني (طاب ثراه) من أنّه في سنة ١٢٨٥، وهي السنة التي قُتل فيها السيد رضا الرفيعي والد السيد جواد - سادن الروضة الحيدرية - أمرت الحكومة العثمانية بنفي جماعة من رؤساء النجف الأشرف إلى الحلّة، واتّفق في أثناء ذلك قدوم الشاعر السيد عبد الغفار الأخرس البغدادي

---

١ - وهي مثبّتة في ديوانه الذي نشرناه في النجف الأشرف سنة ١٣٧٤.

٢ - أخرس بغداد: المقصود به الشاعر المشهور السيد عبد الغفار الأخرس البغدادي المتوفّى سنة ١٢٩٠. ويقصد بباقي الشعر: الشاعر المشهور عبد الباقي العمري المتوفّى سنة ١٢٧٨، وقد تضمّن سيدنا وأستاذنا العلاّمة السيد محمد القزويني صدر هذا البيت في بيتين خاطب فيهما (حفيد أخيه السيد مهدي ابن الهادي ابن المرزا صالح القزويني)، وكانت في لسانه حبسة وتمتمة، ويسمّيه عمّه المذكور أخرس قزوين:

قولـــــوا لأخـــــرسَ قـــــزوين إذا تُليـــــت فرائـــــدُ فكـــــرهِ قـــــد صـــــاغَ رائقهـــــا

لم تبـــــقَ نـــــاطقُ شـــــعرٍ في الـــــورى ولقـــــد (أخرســـــتَ أخـــــرسَ بغـــــدادَ وناطقهـــــا)

وقد ذكرنا القصة في ترجمة السيد مهدي في كتابنا البابليات ٤ / ١٦١.

إلى الفيحاء، فاجتمع في نادي أحد زعماء الشمرت بأحد ظرفاء الحلّة ممّن تجمعه وإيّاه صلة الأدب، وكان من بين الحاضرين شاعرنا الكوّاز - فقال الأخرس البغدادي لصاحبه: أريني (كوّازكم) الذي يقول (أخرست أخرس البغداد وناطقها الخ). فقال: ها هو ذا جليسك. فلمّا رأى (الأخرس) هيئته استصغره وأعرض عنه، وقال: إنّه ليس هذا. فقال له صاحبه: أيّها السيد إنّه هو، هو بعينه، والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا طيلسانه. فعند ذلك عاتب الأخرس شاعرنا الكوّاز على ذلك البيت، فقال الكوّاز للأخرس: أما علمت أنّ بمقدار علوّ همّة الشاعر تكون حماسته، وإليك فاسمع الآن ما أقوله وأنشد:

فلو إنّ لبسي قدرَ نفسي لأصبحت ... تُحاكُ ثيابي من جناحِ الملائكِ

ولو كانَ فيما أستحقُ مجالسي ... نصبنَ على هامِ السماكِ أرائكي

ولما بلغ عبد الباقي العمري للوصلي قول الكوّاز المذكور أعلاه وهو (وما تركتُ لباقي الشعرِ من باقي)، قال العمري: إذن أين أضع الباقيات الصالحات؟

ويروى أنّ الكوّاز جاء إلى بغداد ونزل ضيفاً على الحاج عيسى والحاج أحمد آل شالجي موسى من تجار وأدباء بغداد، فأرادوا زيارة عبد الباقي العمري فذهب معهما الكوّاز على تنكّره وجلس في طرف المجلس، فقال عبد الباقي: حضرني شطر وهو: (قيل لي مَنْ سما سماء المعالي)، وجعل يردّده ولا يحضره عجز له، فلمّا طال ذلك على الكوّاز قال: (قلت عيسى سما السماءِ وأحمد)، فقال عبد الباقي: أنتَ الكوّاز بلا شك، وقرّبه وأدناه وكساه.

وقد حدّث جماعة من معاصري شاعرنا المترجم بأنّه جمع المختار من شعره وشعر أخيه الشيخ حمادي في ديوان أسماه (الفرقدان)، وقد حرصت عليه زوجته بعد وفاته كلّ الحرص، ثمّ لا يُدرى أين ذهب بعد ذلك.

وقيل: إنّ ولد المترجم (عبد اللّه) جمع المختارات من شعر والده في ديوان رتّبه على الحروف الهجائية، ثمّ استُعير منه ولم يُعد إليه. وعلى أيّة حال، فقد ضاع ذلك الديوان المجموع مع ما ضاع من النفائس الشعرية والأدبية في ذلك العهد.

وقد بذلت من الجهد الشيء الكثير لجمع ما تيسّر لي جمعه من شعره منذ أمد

بعيد، من شتى المصادر والمجاميع المخطوطة التي تضمّها مكتبتنا، والتي عثرت عليها في مكتبات النجف والحلّة، وكربلاء وبغداد.

وكان ثمرة تلك الجهود التي بذلناها هذا (الديوان)[1] الذي يضمّ حوالي (١٥٠٠) بيت، والذي يسرّنا أن نقدّمه إلى القرّاء الكرام؛ خدمة للأدب والشعر والتاريخ، وإحياء لذكرى هذا الشاعر الكبير، واللّه من وراء القصد.

النجف الأشرف

محمد علي اليعقوبي

١ شعبان ١٣٨٤ هـ

---

١ - ومن هذا الديوان نقل الأستاذ إبراهيم الوائلي بعض الشواهد في شعر الكوّاز في كتابه (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٨٥).

العلويات

وهي قصائده في رثاء الحسين بن علي وبقيّة الشهداء (عليهم السّلام)، وإليها أشار السيد حيدر الحلّي بقوله:

ولـــكَ الســـائراتُ شـــرقاً وغربـــا جـــئنَ بعـــداً ففقـــنَ مـــا جـــاءَ قـــبلا
كنـــتَ أخلصـــتَ نيّـــةَ القـــولِ فيهـــا فـــجزاكَ الحســـينُ عـــنهنَّ فعـــلا
فهـــي (الصـــالحاتُ) بعـــدكَ تبقـــى بـــلسانِ الزمـــانِ للحشـــرِ تُتلـــى

قال المرحوم الشيخ صالح الكوّاز، الحي في رثاء شهيد الطفّ أبي عبد اللّه الحسين وأهل بيته وأصحابه (عليهم السّلام):

باسمِ الحسينِ دعا نعاءٌ نعائي ... فنعى الحياةَ لسائرِ الأحياءِ[1]

وقضى الهلاكُ على النفوسِ وإنّما ... بقيتْ ليبقى الحزنُ في الأحشاءِ

يومٌ بهِ الأحزانُ مازجتِ الحشى ... مثلُ امتزاجِ الماءِ بالصهباءِ

لم أنسَ إذ تركَ المدينةَ وارداً ... لا ماءَ مدينَ بلْ نجيعُ دماءِ

قد كانَ موسى والمنيّةُ إذ دنت ... جاءَتهُ ماشيةً على استحياءِ

ولهُ تجلّى اللّهُ جلَّ جلاله ... من طورِ وادي الطفِّ لا سيناءِ

فهناكَ خرَّ وكلُّ عضوٍ قد غدا ... منهُ الكليمُ مكلّمُ الأحشاءِ

يا أيّها النبأ العظيمُ إليكَ في ... إبناكَ منّي أعظمُ الأنباءِ

إنّ اللذينَ تسرعا يقيانكَ الأ ... رماح في صفينَ بالهيجاءِ

فأخذتَ في عضديهما تثنيهما ... عمّا أمامكَ من عظيمِ بلاءِ

ذا قاذفٌ كبداً لهُ قِطعاً وذا ... في كربلاءَ مقطّعُ الأعضاءِ

مُلقى على وجهِ الصعيدِ مجرَّداً ... في فتيةٍ بيضُ الوجوهِ وضاءِ

تلكَ الوجوهُ المشرقاتُ كأنّها ال ... أقمارُ تسبحُ في غديرِ دماءِ

---

١ - نعاء فلاناً (كقطام) أي إنعه وأظهر خبر وفاته، ومنه قول أبي تمام:

نعاءٌ إلى كلّ حي نعى ... فتى العربِ اختطَّ ربعَ الغنا

رقـدوا ومـا مـرّت بهـم سِـنةُ الكـرى وغـفـتْ جـفونُهمُ بـلا إغـفاءِ
مـتوسّدينَ مـن الصـعيدِ صـخورَه متـمهّدينَ خـشونةَ الـحصباءِ
مُـدثّرينَ بـكربلاءَ سـلبَ القنـا مُـزملينَ عـلى الـرّبى بـدماءِ
خُضـبوا ومـا شـابوا وكـانَ خضـابُهم بـدمٍ مـن الأوداجِ لا الـحنّاءِ
أطـفالهم بـلغوا الـحلومَ بقـربهم شـوقاً مـن الـهيجاءِ لا الحسـناءِ
ومـغسّلينَ ولا مـياه لـهم سـوى عـبراتِ ثـكلى حـرّةِ الأحشـاءِ
أصـواتها بُـحَّت فـهنَّ نـوائح ينـدبنَ قتـلاهنَّ بالإيـماءِ
أنّـى التفـتّنَ رَأيْـنَ مـا يُـدمي الحشـى مـن نـهبِ أبـياتٍ وسـلبِ ردءِ
تـشكو الـهوانَ لـندبها وكـأنّه مـغضٌ ومـا فـيهِ مـن الإغضـاءِ
وتـقولُ عـاتبةً عليـهِ ومـا عسـى يُـجدي عـتابٌ مـوزّعَ الأشـلاءِ
قـد كـنتَ لـلبعداءِ أقـربَ منجـد والـيومَ أبـعدهم عـن الـقرباءِ
أدعـوكَ مـن كثـبٍ فلـم أجـدِ الـدعا إلاّ كمـا ناديـتُ للـمتنائي
قـد كنـتَ في الحـرمِ المنيـعِ خبيئـة والـيومُ نـقعُ الـيعملاتِ خبـائي
أُسـبي ومثلـكَ مَـنْ يحـوطُ سـرادقي هـذا لـعمري أعـظمُ الـبرحاءِ
مـاذا أقـولُ إذا الـتقيتُ بشـامت إنّـي سُـبيتُ وإخـوتي بـإزائي
حـكمَ الـحمامُ علـيكم أن تُعرضـوا عـنّي وإن طـرقَ الهـوانُ فنـائي
مـا كنـتُ أحسـبُ أن يهـونَ علـيكم ذُلّـي وتـسييري إلـى الـطلقاءِ
هـذي يـتاماكم تـلوذُ بـبعضها ولكـم نـساءٌ تـلتجي لـنساءِ

عـــجباً لـــقلبي وهـــو يـــألفُ حـــبكم ... لِـــــمْ لا يـــــذوبُ بـــــحرقةِ الأرزاءِ

وعجبـــتُ مـــن عيـــني وقـــد نظـــرت إلى ... مـــاءِ الـــفراتِ فلـــم تســـل في المـــاءِ

وألـــومُ نـــفسي فـــي امتـــدادِ بقائهـــا ... إذ لـــيسَ تـــفنى قـــبلَ يـــومِ فنـــاءِ

مـا عـذرُ مَـنْ ذكـرَ الطفـوفَ فلـم يُمـت ... حـــزناً بـــذكرِ الـــطاءِ قبـــلَ الفـــاءِ

إنّـــي رضـــيتُ مـــن النـــواظرِ بالبكـــا ... ومـــن الـــحشى بتـــنفّسِ الصُـــعداءِ

مـــا قـــدرُ دمعـــي في عظـــيمِ مصـــابكم ... إلاّ كـــــشكرِ الـــــلّهِ فـــــي الآلاءِ[1]

وكـــــلاهما لا يـــــنهضانِ بـــــواجب ... أبـــــــــداً لـــــــــدى الآلاءِ والأرزاءِ

زعـــمتْ أُمـــيّةُ أنّ وقـــعةَ دارهـــا ... مثـــلُ الطفـــوفِ وذاك غـــيرُ ســـواءِ[2]

أيـــنَ الـــقتيلُ عـــلى الفـــراشِ بذلّـــة ... مـــن خـــائضِ الغمـــراتِ في الهيجـــاءِ

شـــتّانِ مـــقتولٌ عـــليهِ عـــرسه ... تـــهوى ومقتـــولٌ علـــى الورهـــاءِ[3]

لـــيسَ الـــذي اتّخـــذَ الجـــدارَ مـــن القنـــا ... حـــصناً كـــمقريهنَّ فـــي الأحشـــاءِ

---

١ - الآلاء: النعم.

٢ - يشير إلى مصرع الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) حين تألّب المسلمون على قتله في داره سنة ٣٥ هـ، بعد أن امتنع عن تنفيذ رغباتهم في خلع نفسه، أو إقصاء أقاربه عن الحكم، وقُتلت معه زوجته نائلة بنت القرافصة، وعمره يومئذ ٨٤ سنة.

٣ - الورهاء: الفرس.

وقال في رثائه أيضاً (عليه السّلام)، وذكر في آخرها الشهيد زيد بن علي بن الحسين (عليه السّلام):

أغابـــاتُ أُســـدٍ أمْ بـــروجُ كـــواكب ... أمْ الطـفُّ فـيهِ استشهدت آلُ غـالبِ

ونـشرُ الـخزامى سـارَ تـحملهُ الـصبا ... أمْ الـطيبُ مـن مـثوى الـكرامِ الأطائـبِ

وقفـــتُ بـــهِ رهـــنَ الـــحوادثِ أنـــحني ... من الوجدِ حتى خلتني قوسَ (حاجبِ)[1]

تمـــثّلت في أكـــنافهِ ركـــبُ هـــاشم ... تهـــاوت إلـــيهِ فـــيهِ خـــوصُ الـــركائبِ

أتوهـــا وكـــلُّ الأرضِ ثـــغرٌ فـــلم يـــكن ... لهـــم ملـــجأ إلاّ حـــدودُ الـــقواضبِ

وسمـــــراً إذا مـــا زعـــزعوها حـــسبتها ... مـن الـلينِ أعـطافَ الـحسانِ الكواعـبِ

وإن أرسلـــــوها في الـــــدروعِ رأيـــــتها ... أشـــدّ نفـــوذاً مـــن أخِ الـــرملِ واثـــبِ

هـــم القـــومُ تـــؤمٌ لـــلعلاءِ ولـــيدهم ... وناشـــؤهم للـــمجدِ أصـــدقَ صـــاحبِ

إذا هـــــو غنّـــــتهُ المـــــراضعُ بالـــــثنا ... صغـــى آنســـاً بـــالمدحِ لا بـــالمحالبِ

ومـــــن قبـــــلِ تلـــــقينِ الأذانِ يهـــــزّه ... نـــداءُ صريـــخٍ أو صـــهيلُ ســـلاهبِ

بنـفسي هـم مـن مـستميتينَ كـسروا ... جـفونَ الـمواضي فـي وجـوهِ الكتائـبِ

وصـــالوا عـــلى الأعـــداءِ أُســـداً ضـــوارياً ... بعـــوجِ الـــمواضي لا بـــعوجِ الـــمخالبِ

تراهـــم وإن لـــم يـــجهلوا يـــومَ ســـلمهم ... أقـــل ظهـــوراً مـــنهم فـــي الـــمواكبِ

---

١ - ويعني حاجب بن زرارة التميمي صاحب القوس التي رهنها عند كسرى إنوشروان وقصّته معروفة.

إذا نكرّتـــــهم بالغـــــبارِ عجاجـــــة ... فقـــد عرفـــتهم قـــضبهم بـــالمضاربِ

بـها لـيلٌ لـم يـبعث لـها العتـب باعـث ... إذا قـــرّطَ الكـــسلان قـــولُ الـــمعاتبِ

فحـــاشاهم صرعـــى ومـــن فـــتياتهم ... بـهم قـد أحـاطَ العتبُ مـن كـلِّ جانـبِ

تعاتـــبهم وهـــي العـــليمةُ أنّهـــم ... بريـــئونَ مـــمّا يـــقتضي قـــولُ عـــاتبِ

ومـذهولةً فـي الـخطبِ حـتى عـن البكـا ... فـتدعو بـطرفٍ جـامدِ الـدمعِ نـاضبِ

تـــلبّي بـــنو عـــبس بـــن غـــطفان فـــتية ... لـــهم قـــتلت صـــبراً بـــأيدي الأجانـــبِ[1]

وصـــبيتكم قـــتلى وأســـرى دعـــت بـــكم ... فـــما وجـــدت مـــنكم لـــها مـــن مـــجاوبِ

ومـــا ذاكَ ممّـــا يرتـــضيهِ حـــفاظكم ... قـــديماً ولـــم يـــعهد لـــكم فـــي الـــتجاربِ

عذرتكـــــم لم أتّهـــــمكم بجـــــفوة ... ولا ساورتـــكم غفـــلةٌ فـــي الـــنوائبِ

شـكت وارعـوت إذ لـم تجـد مـن يجيبهـا ... وما في الحشى ما في الحشى غير ذاهبِ[2]

وباكـــيةٌ حـــرى الفـــؤادِ دموعـــها ... تـــصعَّدُ عـــن قـــلبٍ مـــن الـــوجدِ ذائـــبِ

تصـــكُّ يديـــها فـــي الـــترائبِ لـــوعة ... فتـــلهبُ نـــاراً مـــن وراءِ الـــترائبِ

---

١١ - تلبي بنو عبس بن غطفان فتية

ويقرأها الذاكرون (تلبي بنو ذبيان أصوات فتية)، وهو غير صحيح؛ لأنّ التلبية كانت لبني عبس حين ثأروا لصبيتهم الثمانية الذين قتلهم بنو ذبيان وكانوا رهائن عند مالك بن شميع، وذلك في الحرب التي دارت بين ابني بغيض (ذبيان وعبس) ٤٠ سنة؛ بسبب تسابق (قيس وحمل) على رهان مئة ناقة، وتفصيلها في الكتب التاريخية الكبيرة.

٢ - كلمة (ما) في الجملتين من هذا الشطر اسم موصول.

ومـــدت إلـــى نـــحو الـــغريين طـــرفها ونـــادت أبـــاها خـــيرَ مـــاشٍ وراكـــبِ
أبـــا حســـنٍ إنّ الذيـــن نمـــاهم أبـــو طالـــبٍ بـــالطفِّ ثـــارٌ لـــطالبِ
تـعاوت عـليهم مـن بـني صـخر عصـبة لـثاراتِ يـومِ الـفتحِ حـرَّى الـجوانبِ
وساموهـــم إمّـــا الحـــياةَ بذلـــة أو المـــوتَ فـــاختاروا أعـــزَّ الـــمراتبِ
فهـــاهم عـــلى الـــغبراءِ مـــالت رقـــابهم ولـــمّا تـــمل مـــن ذلّـــةٍ فـــي الـــشواغبِ
سجـــودٌ عـــلى وجـــهِ الـــصعيدِ كـــأنّما لـــها فـــي مـــحاني الطـفِّ بعـضُ المحـاربِ
معارضـــــها مخضـــــوبة فكأنّـــــها ملاغـــمُ أُســـدٍ بالـــدماءِ خواضـــبِ
تفـــجّرُ مـــن أجـــسامها الـــسمر أعـــيناً وتشـــتقُّ منـــها أنـــهرٌ بـــالقواضبِ[1]
ومـــمّا عـــليكَ الـــيوم هـــوّنُ مـــا جـــرى ثـــووا لا كـــمثوى خـــائفِ الـــموتِ ناكـــبِ
أُصيـــبوا ولكـــن مقـــبلينَ دمـــاؤهم تســـيلُ علـــى الأقـــدامِ دون الـــعراقبِ
ممزّقـــةَ الأدراعِ تلقـــى صدورهـــا ومـــحفوظةً مـــا كـــانَ بـــينَ الـــمناكبِ[2]
تأسّـــى بهـــم آلُ الزبـــيرِ فذلـــلت لـــمصعبَ في الهيجـا ظهـورَ المصـاعبِ[3]

---

١ - ونظر في معنى بيته إلى قول ابن نباتة السعدي:

خلقنـــا بـــأطرافِ القنـــا في ظهـــورهم عيونـــاً لهـــا وقـــعُ الســـيوفِ حواجـــبُ

٢ - تداول هذا المعنى الشعراء، والأصل فيه قول الحصين بن الحمام المري:

ولســـنا علـــى الأعقـــابِ تُـــدمى كلُومنـــا ولكـــن علـــى أقـــدامنا تقطـــرُ الـــدما

٣ - في هذه الأبيات ذكر المشاهير من الأباة؛ ففي الأوّل: أشار إلى مصعب بن الزبير الذي قُتل سنة ٧١ هـ، وكان العضد الأقوى في تثبيت ملك أخيه عبد اللّه بالحجاز والعراق، ولاّه أخوه البصرة فزحف على الكوفة وقتل المختار، ثمّ زحف عليه عبد الملك =

ولولاهـــم آلُ المـــهلّبِ لم تمـــت ... لـدى واسـطٍ مـوتَ الأبـي المحـاربِ[1]

وزيـــدٌ وقـــد كـــانَ الإبـــاءُ ســـجية ... لآبائـــهِ الغـــرِّ الكـــرامِ الأطـــائبِ[2]

كـــأنّ علـــيهِ أُلقـــي الـــشبحُ الـــذي ... تشـــكّلَ فيـــهِ شـــبهُ عـــيسى لـــصالبِ

فـقل لـلذي أخـفى عـن الـعينِ قـبره ... متى خـفيتْ شـمسُ الـضحى بالغياهـبِ

وهـــل يـــختفي قـــبرُ امـــرئ مـــكرماته ... بزغـــنَ نجـــوماً كالـــنجومِ الـــثواقبِ

ولـو لـم تـنمُّ الـقومُ فـيهِ إلـى العـدى ... لنـــمَّت علـــيهِ واضحـــاتُ الـــمناقبِ

كـــأنّ الســـما والأرضَ فـــيهِ تـــنافسا ... فنـــالَ الـــفضا عـــفواً ســـني الـــرغائبِ

لـــئن ضـــاقَ بـــطنُ الأرضِ فـــيهِ فـــإنّه ... لِـــمَنْ ضـــاقَ فـــي آلائـــهِ كـــلّ راحـــبِ

عـجبتُ ومـا إحـدى الـعجائبِ فـاجأت ... بمـــقتلِ زيـــدٍ بـــل جـــميعِ الـــعجائبِ

= ابن مروان بجيوش الشام، وعرض عليه الأمان والولاية على العراق، وبذل له ألف ألف درهم فأبى الخضوع للحكم الأموي، وتخاذل عنه أصحابه وقاتل حتى قُتل على نهر (الدجيل) بالقرب من (مسكن) سنة ٧١ هـ.

١ - أشار إلى يزيد بن المهلّب ابن أبي صفرة الأزدي من الشجعان الأباة، تنقّل في عدّة ولايات في العهد الأموي، وحُبس مراراً ثمّ أُطلق، ونهض بالبصرة ونازع بني أُميّة الخلافة، فقاتله مسلمة بن عبد الملك وقُتل بين واسط وبغداد سنة ١٠٢ هـ.

٢ - أشار إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام) الذي نهض سنة ١٢٠ هـ في الكوفة بعد ما بايعه كثير من أهلها، فجهّز إليه هشام بن عبد الملك جيشاً بقيادة يوسف بن عمرو الثقفي، وقاتل حتى استشهد في السبخة، وأخرجه بنو أُميّة بعد دفنه وصلبوه في كناسة الكوفة أربع سنين، ثمّ أحرقوه بعد ذلك بالنار، وعمره يوم قُتل ٤٢ سنة.

أتطــردُ قربــى أحــمدَ عــن مــكانه ... بــنو الــوزغِ الــمطرودِ طــردَ الــغرائبِ
وتحــكمُ فــي الــدينِ الــحنيفِ وإنّــها ... لأنصــبُ لــلإسلامِ مــن كــلّ نــاصبِ

وقال أيضاً في رثائه (عليه السّلام):

لــي حــزنُ يــعقوبَ لا ينفــكُّ ذا لهــب ... لــصرعٍ نــصبَ عيــني لا الــدمِ الكــذبِ
وغــلمةٍ مــن بــني عــدنانَ أرســلها ... لــلجدِّ والــدها فــي الحــربِ لا اللعــبِ
ومعــشرٍ راودتــهم عــن نــفوسهم ... بــيضُ الضــبا غــيرَ بــيضِ الخــرّدِ العــربِ
فأنــعموا بــنفوسٍ لا عــديلَ لــها ... حــتى لسيلت على الخرصــانِ والقضــبِ
فــانظر لأجــسادهم قــد قــدَّ مــن قبــل ... أعضــاؤها لا إلى القمصــانِ والأهــبِ[1]
كــلّ رأى ضــرَّ أيــوبٍ فمــا ركضــت ... رجــلٌ لــهُ غــيرَ حــوضِ الكــوثرِ العــذبِ
قــامت لــهم رحــمةُ البــاري تمرّضــهم ... جــرحى فــلم تــدعهم للحلــفِ والغضــبِ
وآنــسينَ مــن الــهيجاءِ نــارَ وغــى ... في جانبِ الطفِّ ترمي الشهبَ بالشهبِ
فــيمّموها وفــي الإيــمانِ بــيضُ ضــباً ... ومــا لــهم غــيرَ نصــرَ اللّــهِ مــن إربِ
تــهشُّ فــيها عــلى آســادٍ مــعركة ... هــشَّ الــكليمِ علــى الأغنــامِ للعشــبِ[2]
إذا انــتضوها بــجمعٍ مــن عــدوهم ... فــالهامُ ســاجدةٌ مــنها عــلى الــترب
ومولــجينَ نهــارَ المــشرفيةِ في ... لــيلِ الــعجاجةِ يــومَ الــروعِ والرهــبِ

---

١ - والأهب بالضم جمع إهاب: الجلد.

٢ - في مجمع البيان عند ذكر قوله تعالى: (وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي) أي أضرب الشجر ليتساقط الورق فتأكل غنمي منه.

ورازقـي الـطيرَ مـا شـاءت قواضـبهم ... مـن كـلِّ شـلوٍ مـن الأعـداءِ مقتضـبِ
ومبـــتلينَ بنـــهرٍ مـــا لـــوارده ... مـــن الـشهادةِ غـيرَ البعـدِ والحجـبِ
فلـــن تُـــبلَّ ولا فـــي غـــرفةٍ أبـــداً ... مـــنهُ غـــليلَ فـــؤادٍ بـــالظما عـــطبِ
حـــتى قـــضوا فـــغدا كـــلٌّ بمصـــرعه ... ســكينةً وســطَ تــابوتٍ مــن الكثــبِ
فـليبكِ (طـالوتُ) حـزناً للبقيّـةِ مـن ... قـد نـالَ (داودَ) فـيهِ أعـظمَ الغلـبِ
أضـحى وكـانت لـهُ الأمـلاكُ حاملـة ... مقـــيّداً فـــوقَ مـــهزولٍ بـــلا قـــتبِ
يـــرنوا إلـــى الناشـــراتِ الـــدمعَ طاويـــة ... أضـــلاعهنَّ عـــلى جـــمرٍ مـــن النـــوبِ
و (الـعادياتِ) مـن الفسـطاطِ ضـابحة ... و (الـمورياتِ) زنـادَ الحـزنِ في لهـبِ
و (الـمرسلاتِ) مـن الأجفـانِ عبرتهـا ... و (الـنازعاتِ) بـروداً في يـدِ السـلبِ
و (الـذارياتِ) تـراباً فـوقَ أرؤسـها ... حـزناً لـكلِّ صـريعٍ بـالعرا تـربِ
وربَّ مـــرضعةٍ مـــنهنَّ قـــد نـــظرت ... رضـيعها فـاحصَ الـرجلينِ في الـترِبِ
تشـــوطُ عنـــهُ وتأتـــيهِ مـــكابدة ... مـن حـالهِ وظـماها أعـظمُ الكـربِ
فـقل (بـهاجرَ) (إسـماعيلُ) أحزنهـا ... مـتى تـشطُّ عنهُ مـن حرّ الظمـا تـؤبِ
ومـا حـكتها ولا (أُمّ الـكليمِ) أسـى ... غـداة فـي الـيمّ ألـقتهُ مـن الطلـبِ
هـذي إلـيها ابـنها قـد عـادَ مرتضـعاً ... وهـذه فـي سـقي بـالباردِ الـعذبِ
فـأينَ هـاتانِ مـمّن قـد قضـى عطشـاً ... رضـيعها ونـأى عـنها ولـم يـؤبِ
بـل آبَ مـذ آبَ مـقتولاً ومـنتهلا ... مـن نـحرهِ بـدمٍ كـالغيثِ منسـكبِ
شـاركنها بـعمومِ الـجنسِ وانفـردت ... عـنهنَّ فـيما يخـصُّ النـوعَ مـن نسـبِ

كـــانت تـــرجى عـــزاءً فيـــهِ بعـــد أب ... لـــهُ فـــلم تـــحظَ بـــابنٍ لا ولا بـــأبِ

فأصـــبحت بنـــهارٍ لا ذكـــاءَ لـــه ... وبـــاتت الـــليلَ فـــي جـــوٍ بـــلا شـــهبِ

وصـــبيةٌ مـــن بـــني الـــزهرا مربّقـــة ... بـــالحبلِ بـــينَ بـــني حـــمالةَ الحطـــبِ

كـــأنّ كـــلَّ فـــؤادٍ مـــن عـــدوهم ... صـــخرُ بـــن حـــربٍ غـــدا يفريـــهِ بـــالحربِ

لـــيتَ الأُلـــى أطعمـــوا المســـكينَ قـــوتهم ... وتـــالبيهِ وهـــم فـــي غـــايةِ الـــسغبِ

حـــتى أتـــى (هـــل أتـــى) فـــي مـــدحِ فضـــلهم ... مـــن الإلـــهِ لـــهم فـــي أشـــرفِ الكتـــبِ

يـــرونَ بـــالطفِّ أيـــتاماً لـــهم أُســـرت ... يـــستصرخونَ مـــن الآبـــاءِ كـــلَّ أبي

وأرؤسٌ سائـــــراتٌ بـــــالرماحِ رمـــــى ... مـــسيرها عـــلماءُ الـــنجمِ بـــالعطبِ

تـــرى نـــجوماً لـــدى الآفـــاقِ ســـائرة ... غـــيرَ الـــتي عـــهدت بالسـبعةِ الشـهبِ

كـــواكبُ فـــي ســـما الـــهيجاءِ ثابتـــة ... ســـارت ولـــكن بـــأطرافِ القنـــا الســـلبِ

لم أدرِ والسـمرُ مـذناءت بهـا اضـطربت ... مـن شـدّةِ الخـوفِ أمْ مـن شـدّةِ الطـربِ

لاغـــرو إن هـــزّها تـــيهٌ غـــداة غـــدت ... مشـــارقاً لـــبدورِ الـــعزِّ والـــحسبِ

وإن تـــرعَ فـــلمّا وشـــكاً لـــهُ نظـــرت ... مَـــنْ حـــطّها بصـــدورِ القـــومِ واللبـــبِ[1]

وكـــيفَ لـــم تضـــطرب والحـــاملونَ لهـــا ... لـــم يـــبقَ مـــنها فـــؤادٌ غـــيرَ مضـــطربِ

لـــعظمِ مـــا شـــاهدوا يـــومَ الطفـــوفِ فهـــم ... يـــرونهُ فـــي بـــعيدِ الـــعهدِ عـــن كثـــبِ

---

١ - اللبب واللبّه بالفتح: المنحر، وموضع القلادة من الصدر، وفي بعض النسخ (اليلب) وهي الترس، أو الدروع، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس خاصة، وما أثبتناه إلى قصد الشاعر.

بُـعداً لـقومٍ أبـادوا خـصبَ ربعهـم فـأصبحوا بـعدهم فـي مربـعٍ جـدبِ
والقـاتلينَ لسـاداتٍ لـهم حـسداً عـلى عُـلا الشـرفِ الوضّـاحِ والحسـبِ
والـفضلُ آفـةُ أهـليه ويـوسفُ في غـيابةِ الـجبّ لـولا الفضـلِ لم يغـبِ
وصـفوةُ الـلّهِ لـم يـسجد لـهُ حسـداً إبـليسُ لـمّا رأى مـن أشـرفِ الرتـبِ
وحـسن نـصر بـن حجـاجٍ نفـاهُ وفي سـواهُ طـيبةٌ مـنها العـيشُ لم يطـبِ
يـا سـادتي يـا بـني الهـادي ومَـنْ لهـم بـثّي وحـزني إذا مـا ضـاقَ دهـري بي
ندبـتكم فأجـيبوني فـلستُ أرى سـواكم مـستجيباً صـوتَ مـنتدبِ
فأنـتم كـاشفوا الـبلوى وعـندكم صـدقُ الأمـاني فلـم تكـذب ولم تخـبِ
ألسـتم جعـلَ الـباري بـيمنكم رزقُ الـخلائقِ مـن عجـمٍ ومـن عـربِ
بـل أنـتمُ سـببٌ بـالعرشِ متصـل لـكلِّ ذي سـببٍ أو غـيرِ ذي سـببِ

وله في رثائه (عليه السّلام):

يـابنَ بنـتِ النـبي عـذراً فـإنّي قـد رأيـتُ الحيـاةَ بعـدكَ ذنبـا
مَـنْ تـراهُ أشـدّ مـنّي وقاحـاً جـعلَ الـصبرَ بعـد قتلـكَ دأبـا
فـكأنّي لـم يـأتني خـبرُ الطـفّ أو إنّي استسـهلتُ مـا كـانَ صـعبا
أيـنَ حـبّي إن لم أمـت لـكَ حزنـاً أيـنَ حـزني إن لم أمـت لـكَ حبّـا

وله في رثائه (عليه السّلام):

لـــم أنـــسَ وقعـــةَ كـــربلاء وإن ... أنـــسى الرزايـــا بعضـــها بعضـــا

مـــن أيـــنَ بـــعدَ الســـبطِ مفتقـــد ... فيكـــونَ عضـــبَ مصـــابهِ أمضـــى

قـــالوا الـــحسين لأجلكـــم كرمـــاً ... شـــربَ الحتـــوفَ فقلـــتُ لا أرضـــى

أرضـــى بـــأن أردَ الجحـــيمَ ولا ... يـــردَ الـــردى قـــتلاً ولا قبضـــا

بـــأبي أُبـــاةٌ لـــم تـــرد أبـــداً ... ضـــيماً ســـقت بـــدمائها الأرضـــا

هـــي لا تُـــبالي أن يُصـــاب لهـــا ... هـــامٌ إذا حـــاطت لهـــا عرضـــا

ولـــطالما اضـــطربَ الشـــؤامُ إذا ... أبـــدى الحجـــازُ بقضـــبهم ومضـــا

لـــم أنـــسَ زينـــبَ إذ تقـــولُ وقـــد ... كـــضَّ المصـــابُ فؤادهـــا كضّـــا

لـــلّهِ رزءٌ قـــد أصـــابَ لـــنا ... نـــدباً فـــعطّلَ بـــعدهُ الفرضـــا

ومـــضى بـــصحةِ ديـــننا فغـــدا ... حـــتى المعـــادِ يعـــد في المرضـــى

وتـــردُّ تـــدعو الـــقومَ واعظـــة ... إذ لـــيسَ يســـمعُ كـــافرٌ وعظـــا[1]

يـــا قـــومِ قـــتلكم الحســـينَ أمـــا ... يـــكفيكم عـــن صـــدرهِ الرضـــا

أوَ مـــا كفـــاكم نهـــبكم خـــيمَ النســـوا ... ن عـــن إبـــرادها تـــنضى

أبديـــتمُ أصـــواتنا جـــزعاً ... ولـــطالما هـــي تـــألفُ الغضـــا

أرقـــدتمُ عـــينَ الـــضلالِ بنـــا ... ومـــنعتمُ عـــينَ الهـــدى غمضـــا

مـــا كـــانَ ذنـــبُ مـــحمدٍ لكـــم ... حتـــى قـــتلتم آلـــهُ بـــغضا

---

١ - وهذه القافية جاءت مخالفة لروي القصيدة فأثبتناها كما وجدت في الأصل.

الخـــــــيلُ واردةٌ وصـــــــادرة ... مـــن فـــوقِ صـــدرِ ســـليلهِ ركضـــا
ونســـــاؤهُ تـــــشكو وصـــــبيتهُ ... حـــرَّ الـــظما وحـــرارةَ الرمضـــا
وتـــقولُ وهـــي لـــهم مونّخـــة ... مـــا لا يـــرونَ لبعضـــهِ دحضـــا
بالأمـــــسِ أبـــــرمنا عـــــهودكم ... والـــيومَ أســـرعتم لـــها نقضـــا
أكبـــــادكم للـــــغيظِ أوعـــــية ... بـــالطفِّ ألـــفيتم لـــها نـــفضا
فـــلشدِّ مـــا ربـــضت كلابكـــم ... حـــذرَ الأســـودِ فلـــم تطـــق نهضـــا
جـــئتم بـــها شـــوهاءَ معضـــلة ... لا تـــــملكونَ لـــــعارها رحـــــضا

وقال في رثائه (عليه السّلام):

مـــا ضـــاقَ دهـــركَ إلاّ صـــدركَ اتســـعا ... فـــهل طـــربتَ لوقـــعِ الخطـــبِ مـــذ وقعـــا
تـــــزدادُ بشـــــراً إذا زادتْ نـــــوائبه ... كـــالبدرِ إن غـــشيتهُ ظـــلمةٌ ســـطعا
وكـــلّما عـــثرتْ رجـــلُ الزمـــانِ عمـــى ... أخـــذتَ فـــي يـــدهِ رفـــقاً وقلـــتَ لعـــا
وكـــم رحـــمتَ الـــليالي وهـــي ظالمـــة ... ومـــا شـــكوتَ لـــها فعـــلاً وإن فضـــعا
وكـــيفَ تـــعظمُ فـــي الأقـــدارِ حادثـــة ... عـــلى فـــتى بـــبني المختـــارِ قـــد فضـــعا
أيّـــامَ أصـــبحَ شـــملُ الشـــركِ مجتمعـــاً ... بـــعدَ الـــشتاتِ وشمـــلُ الـــدينِ منصـــدعا
ســـاقتْ عـــديّاً بـــنو تـــيمٍ لـــظلمهم ... إمـــامَها وثـــنتْ حـــرباً لـــها تـــبعا
مـــا كـــانَ أوعـــرَ مـــن يـــومِ الحســـينِ لهـــم ... لـــولا ... لـــنهجِ الـــغصبِ قـــد شـــرعا
ســـلا ظبـــا الـــظلمِ مـــن أغمـــادِ حقـــدهما ... ونـــاولاها يـــزيداً بـــئسَ مـــا صـــنعا
فقـــامَ ممـــتثلاً بـــالطفِّ أمـــرهما ... بـــبيضِ قـــضبٍ هـــما قُـــدماً لهـــا طبعـــا

لا غـرو إنْ هـو قـد ألفـى أبـاهُ علـى ... هــذا الــضلالِ إذا مــا خلفــه هرعــا

وجــحفلٌ كــالدبا جــاءَ الــدبابُ بــه ... ومــن ثــنيّةِ هرشــى نحــوكم طلعــا[1]

يــا ثــابتاً فــي مــقامٍ لــو حــوادثه ... عــصفنَ فــي يــذبلٍ لانــهارَ مقتلعــا

ومــفرداً مــعلّماً فــي ضــنكِ ملحمــة ... بــها تــعادى عــليهِ الشــركُ واجتمعــا

لــلّهِ أنــتَ فــكم وتــرٌ طُــلبتَ بــه ... لــلــجاهليةِ فــي أحــشائها زرعــا

قــد كــانَ غرســاً خفيّــاً في صــدورهم ... حــتى إذا أمّــنوا نــارَ الــوغى فرعــا

وأطــلعتْ بعــدَ طــولِ الخــوفِ أرؤســها ... مــثلُ الــسلاحفِ فيمــا أضــمرتْ طمعــا

واســتأصلتْ ثــارَ بــدرٍ في بواطنهــا ... وأظهــرتْ ثــارَ مَــنْ في الــدارِ قــد صُــرعا

وتــلكمُ شــبهةٌ قــامتْ بــها عصــب ... عــلى قــلوبهمُ الــشيطانُ قــد طبعــا

ومــذ أجــالوا بــأرضِ الطــفِّ خــيلهم ... والــنقعُ أظــلمَ والــهندي قــد لــمعا

لــم يطلــبِ المــوتُ روحــاً مــن جسومهم ... إلاّ وصــارمكَ الــماضي لــهُ شــفعا

حــتى إذا بــهم ضــاقَ الفضــا جعلــت ... ســيوفكم لــهم فــي الــموتِ متّســعا

وغــصّ فــيهم فــمُ الغــبرا وكــانَ لهــم ... فــمُ الــردى بعــد مضــغِ الحــربِ مُبتلِعــا

ضــربتَ بــالسيفِ ضــرباً لــو تســاعده ... يــدُ الــقضاءِ لــزالَ الشــركُ وانقشــعا

بــل لــو تشــاءُ القضــا أن لا يكــونَ كمــا ... قــد كــانَ غــيرُ الــذي تهــواهُ مــا صــنعا

---

١ - هرشى: ثنية بين مكة والمدينة، قريبة من الجحفة، يُرى منها البحر، ولها طريقان، فكلّ مَنْ سلكهما كان مصيباً (لسان العرب). وفيها حاول جماعة من المنافقين اغتيال النبي (صلّى الله عليه وآله) بعد رجوعه من حجة الوداع.

لكـــنّكم شـــئتم مـــا شـــاءَ بـــارؤكم ... فـــحكمهُ ورضـــاكم يـــجريانَ مـــعا

ومـــا قـــهرتم بـــشيءٍ غـــيرَ مـــا رغبـــت ... لـــهُ نـــفوسكم شـــوقاً وإن فـــضعا

لا تشـــــمتنَّ رزاياكـــــم عدوّكـــــم ... فـــما أمـــاتَ لـــكم وحـــياً ولا قـــطعا

تتـــبّعوكم ورامـــوا مـــحو فـــضلكم ... فـــخيّبَ الـــلّهُ مَـــنْ فـــي ذلكـــم طمعـــا

إنّـــي وفـــي الصـــلواتِ الخمـــسِ ذكـــركم ... لـــدى الـــتشهّدِ لـــلتوحيدِ قـــد شـــفعا[1]

فمـــا أعـــابكَ قـــتلٌ كـــنتَ تـــرقبه ... بـــهِ لـــكَ الـــلّهُ جـــمَ الفضـــلِ قـــد جمعـــا

ومـــا عـــليكَ هـــوانٌ أن يُشـــال علـــى ... الـــميَّادِ مـــنكَ مُـــحيّاً لـــلدجى صـــدعا

كـــأنّ جـــسمكَ موسى مـــذ هـــوى صـــعقاً ... وأنّ رأســـكَ روحُ الـــلّهِ مـــذ رُفـــعا

بكـــاكَ آدمُ حزنـــاً يـــومَ تـــوبته ... وكـــنتَ نـــوراً بســـاقِ العـــرشِ قـــد ســـطعا

كـــفى بـــيومكَ حـــزناً أنّـــه بـــكيت ... لـــهُ الـــنبيونَ قُـــدماً قـــبل أن يـــقعا

ونـــوحُ أبـــكيتهُ شـــجواً وقـــلَّ بـــأن ... يـــبكي بـــدمعٍ حـــكى طـــوفانهُ دفعـــا

ونـــارُ فـــقدكَ فـــي قـــلبِ الخليـــلِ بهـــا ... نـــيرانُ نـــمرودَ عـــنهُ الـــلّهُ قـــد دفعـــا

كـــلّمتَ قـــلبَ كـــليمِ الـــلّهِ فانبجســـت ... عـــيناهُ دمـــعاً دمـــاً كـــالغيثِ مُنهمعـــا

ولـــو رآكَ بـــأرضِ الـــطفِّ منفـــرداً ... عـــيسى لـــما اختـــارَ أن ينجـــو ويرتفعـــا

ولا أحـــبّ حيـــاةً بـــعد فـــقدكم ... ومـــا أرادَ بـــغيرِ الـــطفِّ مضـــطجعا

يـــا راكـــباً شـــدقمياً فـــي قـــوائمه ... يـــطوي أديـــمَ الـــفيافي كـــلّما ذرعـــا

يـــجتابُ مـــتّقدُ الـــرمضاءِ مـــستعراً ... لـــو جـــازهُ الطـــيرُ في رمضـــائهِ وقعـــا

---

١ - الشفع من الأعداد:ما كان زوجاً، تقول: كان وتراً فشفعته بآخر.

فـــرداً يـــكذّبُ عـــينيهِ إذا نـــظرت ... فـــي الـــقفرِ شخصـــاً وأُذنيـــهِ إذا سمعـــا
عـــجْ بالمدينـــةِ واصـــرخْ في شـــوارعها ... بـــصرخةٍ تـــملأ الـــدنيا بـــها جزعـــا
نـــادِ الـــذين إذا نـــادى الصـــريخُ بهـــم ... لـــبوَّةُ قـــبلَ صـــدى مـــن صـــوتهِ رجعـــا
يكـــادُ يـــنفذُ قـــبلَ الـــقصدِ فـــعلهم ... لـــنصرِ مَـــنْ لـــهم مـــستنجداً فزعـــا
مـــن كـــلّ آخـــذ لـــلهيجاءِ أهـــبتها ... تلـــقاهُ معـــتقلاً بـــالرمحِ مـــدّرعا
لا خـــيلهُ عـــرفتْ يـــوماً مـــرابطها ... ولا عـــلى الأرضِ لـــيلاً جنبـــهُ وضـــعا
يُصـغي إلى كـلِّ صـوتٍ عـلَّ مصـطرخاً ... لـــلأخذِ فـــي حـــقهِ مـــن ظالميـــهِ دعـــا
قـــل يـــا بـــني شـــيبةَ الحمـــدِ الـــذينَ بهـــم ... قـــامت دعـــائمُ ديـــنِ الـــلّهِ وارتفعـــا
قـــوموا فـــقد عصـــفتْ بـــالطفِّ عاصـــفة ... مـــالتْ بـــأرجاءِ طـــودِ العـــزِّ فانصـــدعا
لا أنتـــمُ أنـــتمْ إن لـــم تـــقم لـــكم ... شـــعواءُ مـــرهوبةً مـــرأى ومســـتمعا
نهـــارُها أســـودٌ بـــالنقعِ مـــعتكر ... ولـــيلها أبـــيضٌ بـــالقضبِ قـــد نصـــعا
إن لـــم تـــسدّوا الفضـــا نقعـــاً فلـــم تجـــدوا ... إلـــى الـــعُلا لـــكم مـــن مـــنهجٍ شـــرعا
فـــلتلطمِ الـــخيلُ خـــدَّ الأرضِ عاديـــة ... فـــإنّ خـــدَّ حـــسينٍ لـــلثرى ضـــرعا
ولـــتُملأ الأرضُ نـــعياً في صـــوارمكم ... فـــإنّ نـــاعي حســـينٍ في الســـماءِ نعـــى
ولـــتُذهلُ الـــيومَ مـــنكم كـــلُّ مرضـــعة ... فـــطفلهُ مـــن دمـــا أوداجـــهِ رضـــعا
لـــئن ثـــوى جـــسمهُ في كـــربلاءِ لقـــى ... فـــرأسهُ لـــنساهُ فـــي الـــسباءِ رعـــى
نســـيتم أو تنـــاسيتم كرائـــمكم ... بـــعدَ الـــكرامِ عـــليها الـــذلُّ قـــد وقعـــا
أتـــهجعونَ وهـــم أســـرى وجـــدّهم ... لـــعمّهِ لـــيلُ بـــدرٍ قـــطّ مـــا هـــجعا

فـــليتَ شـــعري مَـــنْ الـــعباسُ أرقَّـــه ... أنـــينهُ كـــيفَ لـــو أصـــواتها سمعـــا

وهـــادرُ الـــدمِ مـــن هـــبارٍ ســـاعةَ إذ ... بـــالرمحِ هـــودجُ مَـــنْ تُنمـــى لـــهُ قرعـــا[1]

مـــا كـــانَ يـــفعلُ مـــذ شـــيلت هوادجهـــا ... قسـراً علـى كـلِّ صـعبٍ فـي السـرى ظلعـا

مـــا بـــينَ كـــلّ دعـــيٍّ لم يـــراعِ بهـــا ... مـــن حـــرمةٍ لا ولا حـــقَّ النـــبي رعـــى

بـــني عـــلي وأنـــتم لـــلنجا ســـببي ... فـــي يـــومِ لا ســـببٌ إلاّ وقـــد قُطعـــا

ويـــومَ لا نـــسبٌ يـــبقى ســـوى نســـب ... لجـــــدّكم وأبيـــــكم راحَ مرتـــــجعا

لـــو مـــا أنـــهنه وجـــدي فـي ولايـــتكم ... قـــذفتُ قـــلبي لـــما قـــاسيتهُ قِـــطعا

مَـــنْ حـــازَ مـــن نِعَـــمِ البـــاري محبّـــتكم ... فـــلا يُـــبالي بـــشيءٍ ضـــرَّ أو نفعـــا

فـــإنّها الـــنعمةُ العظمـــى الـــتي رجحـــت ... وزنـــاً فـــلو وزُنـــت بـــالدرِّ لارتفعـــا

مَـــنْ لـــي بـــنفسٍ علـــى التقـــوى موطنـــةً ... لا تـــحفلنَّ بـــدهرٍ ضـــاقَ أو وســـعا

---

١ - هبار بن الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزّى، من قريش، كان شاعراً، هجا النبي قبل إسلامه، وأباح النبي دمه يوم فتح مكة؛ لأنّه روّع زينب بنت رسول اللّه زوجة أبي العاص بن الربيع حين حملها حموها إلى المدينة؛ ليلحقها بأبيها بعد وقعة بدر، فتبعهما هبار وقرع هودجها بالرمح، وكانت حاملاً فأسقطت ما في بطنها، فقال (صلّى الله عليه وآله): (إن وجدتموه فاقتلوه). وجاء في (الجعرانة) قرب مكة فأسلم، فقال (صلّى الله عليه وآله): (الإسلام يجبُّ ما قبله).

وله في رثائه (عليه السّلام):

أمـا فـي بـياضِ الشـيبِ حلـمٌ لأحمـق ... بـهِ يـتلافى مـن لـياليهِ مـا بقـي
ومـا بـالأُلى بـانوا نـذيرٌ لـسامعٍ ... فـإنّ مـناديهم يـنادي الـحقَّ الحـقِ
وإنّ امـرأ سـرنَ الـليالي بـظعنه ... لأسـرعَ مـمّن سـارَ مـن فـوقِ أينـقِ
وسـيانَ عنـدَ المـوتِ مَـنْ كـانَ مصـحراً ... ومَـنْ كـانَ مـن خلـفِ الخِبـاءِ المسـردقِ
وهـل تُـؤمنُ الـدنيا الـتي هـي أنزلـت ... (سـليمانَ) مـن فـوقِ البنـاءِ المحلّـقِ
ولا سـدَّ فـيها (الـسدَ) عـمّن أقامـه ... طـريقُ الـردى يومـاً ولا ردّ مـا لقـي
وأعـظمُ مـا يـلقى مـن الـدهرِ فـادح ... رمـى شـملَ آلِ المصـطفى بـالتفرّقِ
فـمنْ بـينَ مـسمومٍ وبـينَ مـشرّد ... وبيـنَ قتـيلٍ بالـدماءِ مـخلّقِ
غـداة بـني عـبد الـمناف أنـوفهم ... أبـتْ أن يُـسافَ الضـيمُ منهـا بمنشـقِ
سـرتْ لـم تـنكب عـن طريـقٍ لغـيره ... حـذارَ الـعدى بـل بـالطريقِ المطـرقِ
ولا دخـلت تـحتَ الـذمامِ ولا اتقـت ... بـغيرِ الـقنا أعـداءها يـومَ تـتّقي
إلـى أن أتـت أرضَ الطفـوفِ فخيّمـت ... بأعـلى سنـامٍ لـلعلاء ومـفرقِ
وأخـلفها مَـنْ قـد دعـاها فلـم تجـد ... سوى السيفَ مهما يعطها الوعدُ يصدقِ
فمـالت إلـى أرمـاحها وسـيوفها ... وأكـرم بـها أنـصارَ صـدقٍ وأخلـقِ
تـعاطت علـى الجـردِ العتـاق دمَ الطـلا ... ولا كمـعاطاتِ المـدامِ الـمعتقِ
فـما بـرحت تـلقى الـحديدَ بـمثله ... قلـوباً فـتثني فـيلقاً فـوقَ فـيلقِ
إلـى أن تـكسّرنَ الـعواسلُ والضـبا ... ومزّقـت الأدراعَ كـلّ ممـزّقِ

وتـــاقت إلـــى لُـــقيا الإلـــهِ نـــفوسها ... فـــفارقنَ مـــنها كـــلَّ جـــسمٍ مـــفرقِ

ومـــا فـــارقت أيـــمانها بـــيضَ قضـــبها ... ومـــا ســـقطت إلاّ بـــكفٍّ ومـــرفقِ

ومـــا ربـــحت مـــنها العـــدى بعـــد قتلهـــا ... مـــن الـــسلبِ إلاّ بـــالدلاصِ المخـــرقِ

ألا (مـــتهمٌ) يـــنحو الـــمدينةَ مســـرعاً ... لـــيوصلها عـــنّي رســـالةَ (مـــعرقِ)

إذا حـــلَّ مـــنها مـــهبطُ الـــوحي فليـــنخ ... ويـــعولُ كـــإعوالِ الـــولودِ الـــمطرّقِ

أهـــاشمُ هـــبّي لـــلكفاحِ فـــلم أخـــل ... عـــلى الـــضيمِ يومـــاً أن تقـــرّي وتخفقـــي

فـــإنّ دمَ الأنـــجابِ مـــن آلِ غـــالب ... أُريـــقَ عـــلى كـــفِّ ابـــن ضـــبعٍ مُلفَّـــقِ

فلـــيسَ بـــمجدٍ بـــعدَ غـــبنكِ فـــيهم ... بـــأنْ تـــقرعي ســـنّاً علـــيهم وتصـــفقي

مـــضى مـــن قصـــي مَـــنْ غـــدت لمضـــيَّه ... كـــوجهٍ قـــصيرٍ شـــانهُ جـــدعُ منشـــقِ[1]

وكـــم مـــن صـــبيٍّ لـــم يشـــبَّ ترفّعـــاً ... عـــن الـــطوقِ ذي جيـــدٍ بسـيفِ مطـوّقِ

وطـــفلٍ عـــلى الـــغبراءِ تنظـــرُ وجهـــه ... كشـــقّةِ بـــدرٍ بـــالثريا مـــقرطقِ[2]

---

١ - قصي بن كلاب بن مرّة، سيّد قريش في عصره، وهو الأب الخامس من سلسلة النسب النبوي الطاهر.

وقصير بن سعد اللخمي من خلصاء جذيمة الأبرش، ملك العراق أيّام الطوائف، أحد رجال القصّة المشهورة مع الزباء التي ملكت الجزيرة، وفيه المثل المشهور (لأمر ما جذع قصير أنفه).

٢ - وهذه القافية جاء بها للضرورة؛ وذلك لأنّها لا تتّفق والمعنى المقصود؛ لأنّ القرطق كما قالوا قباء ذو طاق واحد فينبغي أن يأتي مكانها بكلمة (مقرط) بقرينة وجود الثريا؛ لأنّهم في الأغلب يشبّهون القرط فيها.

قال الأرجاني:

تـــــذكركمُ ليـــــلٌ لنـــــا ســـــالف ... قرطـــــكِ قـــــد كـــــانَ ثُريّـــــاهُ

أذاقوهـــمُ حـــرّ الـــحديدِ عـــواطشاً ... ومـــن عـــذبِ مـــاءٍ قـــطرةٌ لم تـــذوّقِ

لـــو أنّ رســـولَ الـــلّهِ يُـــرسلُ نظـــرة ... لـــردّتْ إلـــى إنـــسانِ عـــينٍ مـــؤرقِ

وهـــانَ عـــليهِ يـــومَ (حـــمزةَ) عـــمّه ... بـيومِ حـسينٍ وهـو أعظـمُ مـا لقـي[1]

ونـــالَ شـــجى مـــن زينـــبَ لم ينلـــهُ مـــن ... صفـــيّةَ إذ جـــاءتْ بـــدمعٍ مُـــدفقِ

فـكم بـينَ مَـنْ للخـدرِ عـادت كريمـة ... ومَـــنْ ســـيّروها فـــي الـــسبايا لجلّـــقِ

ولـيتَ الـذي أحـنى علـى ولـدِ (جعفـر) ... بـــرقّةِ أحـــشاءٍ ودمـــعٍ مـــرقرقِ[2]

رأى بـــين أيـــدي الـــقومِ أيتـــامَ ســـبطه ... ســـبايا تـــهادى مـــن شـــقيٍّ إلى شـــقي

وريّـــانةَ الأجـــفانِ حـــرّانةَ الـــحشى ... فـــفي مـــحرقٍ قامـــت تنـــوحُ ومغـــرقِ[3]

فـــلا حـــرُّ أحـــشاها مـــجفّفُ دمعهـــا ... ولا الـــدمعُ مـــاضٍ عـــن حشـــاها بمحـــرقِ

فـــقل لـــلنجومِ الـــمشرقاتِ ألا اغـــربي ... ولا تـــرغبي بـــعدَ الـــحسينِ بمشـــرقِ

فـــقد غـــابَ مـــنها في ثـــرى القـــبرِ نـــيّر ... مـــتى هـــي تـــستقبلُ مـــحيّاهُ تشـــرقِ

وقـــل لـــلبحارِ الزاخـــراتِ ألا انضـــبي ... مـــضى مَـــنْ نـــداه مـــدّها بـــالتدفّقِ

---

١ - يشير إلى مصرع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب يوم أُحد، وموقف أُخته صفية على جسده ورأته وقد مثّلت به هند بنت عتبة.

٢ - يشير إلى عطف النبي (صلّى الله عليه وآله) على ولدي جعفر بن أبي طالب الطيّار، وهما محمّد وعبدالله بعد مقتل أبيهما في مؤتة سنة (٨) هـ.

٣ - الصحيح (ريا الأجفان وحرى الحشا)، ولعلّ الضرورة اضطرته لاستعمالها على غير الوجه اللغوي الصحيح، وذلك غير مغتفر من مثله.

وله في رثائه (عليه السّلام):

إذا أنـا لا أبـكي لـمثلكَ حـقَّ لـي ... بـكائي عـلى أنّـي لـمثلكَ لا أبكـي
وكيـفَ يُصـانُ الـدمعُ من بعدِ ما اجتروا ... عـلى حـرماتِ الـلّهِ أعـداكَ بالهتـكِ
أأنسـى دمـوعاً أو دمـاءً تـجاريا ... مِـنَ الآلِ يـومَ الطـفِّ بالسـفحِ والسـفكِ
بـنفسي مـلوكُ الـعزّ كافحـتِ العـدى ... على العدلِ ما بينَ الورى لا على الملكِ
إلـى أن مـضوا صـرعى فميّـزَ قـتلهم ... إلـى الـناسِ مـا بـينَ الهدايـةِ والشـركِ
فـإنْ جـحدوا حـقَّ الـوصي وفـاطم ... وتمزيـقُ ذاك... للصـكِ
وسـمَّ سـليلَ المصـطفى الحسـنَ الـذي ... بـنكهتهِ اعـتاضَ الـنبي عـن المسـكِ
فـلم يـجحدوا ذبـحَ الحسـينِ ومـا جـرى ... عـليهِ غـداةَ الـطفِّ مـن أعظـمِ الفتـكِ
فـتلكَ رزايـا فـي السـماءِ إلى الثـرى ... فـمن مـلكٍ يـبكي عـليهِ ومـن مُلـكِ
كـفى حـزناً أنّ الـمحاريبَ أظلمـت ... غـداةَ تـوارى في الثـرى كوكـبُ النسـكِ

وقال في رثائه (عليه السّلام):

لـقد حـرّمت سـلمى عليـكَ خيالهـا ... فلـم تـتوقّع بـعدَ ذاكَ وصـالها
فـمَنْ كـلَّ عـن أمـرٍ وحـاولَ فوقـه ... فـقد رامَ مـن بـينِ الأمـورِ محالهـا
ومَـنْ لـم يـنل داني السـحابِ فظلّـه ... إذا رامَ مـن شـهبِ الـسماءِ هلالهـا
وهـاجرةٌ والـشيبُ عـلّةَ هـجرها ... وتلـكَ لـديها عـثرةٌ لـن تُـقالها
لقـد كـانَ يُـدنيها إلـيكَ مـودّة ... فتـأمنُ فيـهِ هـجرها ومـلالها

سـوادُ قـذالٍ كـانَ في العـينِ أثمـدا فـسرعانَ مـا ولَّـى وأبقـى القـذا لهـا
وهـبْ أنّـها مـن فعلهـا الهجـرُ والجفـا هـلِ الـنومُ مـن عينيـكَ جـارى فعالهـا
لـيالي طـالت بـالصدودِ قصـارها وقـد قـصرَ الـوصلُ القـديمُ طوالهـا
هـي الـغيدُ إنْ دامَ الشـبابُ يـداً وإنْ أُزيـلَ فـلا تـأمنْ هـناكَ زوالـها
يعـذّبنَ قـلبي والـشبابُ شـفيعه فـكيفَ وساعي الشيبِ فيهِ سعى لها
لـقد كُـنَّ فـي لـيلِ الشـبابِ كواكبـا فـلمّا بـدا صـبحُ الـمشيبِ أزالهـا
ومـا الـشيبُ إلاّ مـثلُ نـارِ ضـياؤها بـفودكَ والأحـشاءُ تصـلي اشـتعالها
وإنّ سـراجَ الـعيشِ حـانَ انطفاؤهـا فـقد أشـعلت نـارُ الـمشيبِ ذبالهـا
وكـلٌّ بعـيدٍ للـحياةِ مـقرّب إذا مـاحدت فـيهِ الـليالي جـمالها
ألا هـبةٌ لـلنفسِ مـن سِـنَةِ الهـوى إلـى رتـبةٍ مـن حـاربِ النـومِ نالهـا
فـلو لـم تـنم أجفـانُ عمـرو بـن كاهـل لـما نـالتِ الـنمرانُ مـنهُ مـنالها
فـلمّها عـلى سـوءِ الفعـالِ ابتـداؤها لـتختمَ فـي حـسنِ الـمقالِ فعالهـا
إذا الـنفسُ لـم تـختمْ عواقـبَ فعلهـا بـمدحِ بـني الهـادي أطالـتْ ضـلالها
ولـم تـبتكر فـيهِ الـمعاني وإنّـما تـكرّرُ فـي الـقرآنِ مـا اللّـهُ قالهـا
أعـزاءُ إلاّ أنّهـا لضـيوفها تـذلُّ فـتنسى الـنازلينَ ارتـحالها
أنـالت بـني الآمـالِ فـوقَ مرامهـا ومـا كـدّرتْ بـالمنِّ يـوماً نوالهـا
فـلم تـكنِ الـدنيا لـها غـيرُ دارهـا ومـا كـانَ خـلقُ الـلّهِ إلاّ عـيالها
إذا جـاءتِ الـوفّاد تـسألُ رفـدها كـفتها بـتعجيلِ الـهباتِ سـؤالها

وقد علمت أقرانها ولظى الوغى ... تشبُّ إلى أُمِّ السماءِ اشتعالها
إذا ما دعت يوماً نزالٌ تبادرت ... إليها كماةٌ لا تطيقُ نزالها
محطمةٌ أرماحها في صدورها ... ومغمدةٌ بالهامِ منها نصالها
سرت بعميدٍ لا تغضُّ جفونه ... على الضيمِ أو تعلو الصعيدَ جبالها
أخي هبواتُ حجبِ الشمسِ ليلها ... وأبدى من البيضِ الصفاحِ مثالها
وذي غزواتٍ تملأ السمعَ صيحة ... وتخرسُ ذعراً مَنْ أرادَ مقالها
بوادرهُ مرهوبةٌ وحروبه ... تقاسي ملوكُ الأرضِ منها عضالها
سما فاستغاثت فيهِ ملّةُ جدّه ... وهل تستغيثُ الناسُ إلاّ ثمالها
غداةَ أحلَّ الظالمونَ حرامها ... كما حرّموا منها عناداً حلالها
فسارَ بظلِّ السمهريةِ فوقها ... مِنَ الطيرِ ما أضحى العجاجُ ظلالها
إلى أن أتى أرضَ العراقينِ هادياً ... أُناساً أبت في الدينِ إلاّ ضلالها
فسدت عليهِ السُبلَ من كفِّ حيدر ... أطاحت برغمِ الأنفِ منها سبالها
وأهلُ قلوبٍ قد شجتها معاشر ... عليها لدى بدرِ القليبِ أهالها
كفاها افتضاحاً حيثُ قامت تسومه ... دماءً بسيفِ اللّهِ قدماً أسالها
كأنّي بهِ والصحبُ صرعى كأنّها ... ضراغمةُ غولِ المنيّةِ غالها
يكافحُ والهيجاءُ تغلي بخطبها ... مراجلَها فرسانَها ورجالها
يريكَ إذا ما أومضَ السيفُ في الوغى ... وقد أخذت منهُ الدماءُ انهمالها
وميضُ حسامٍ في سحابِ عجاجة ... وقطرُ دماءٍ لا تجفُّ انهطالها

ومـــا اشـــغلت مـــنهُ الـــحفاظُ نقيبـــة ... أطـــالت بـــحفظِ الـــكائناتِ اشـــتغالها

إلـــى أن جـــرى حكـــمُ المشـــيئةِ بالـــذي ... جـــرى وعـــروشُ الـــدينِ قســـراً امالهـــا

وقـــوّضَ بـــالصبرِ الـــجميلِ فـــتى بـــه ... فـــقدنَ حـــسانُ الـــمكرماتِ جـــمالها

لـــكَ الـــلّهُ مـــقتولاً بقتلـــى لـــكَ الهـــدى ... أبـــاحَ قديـــماً قتـــلها وقـــتالها

فـــليتَ رمـــاحاً شـــجرتكَ صـــدورها ... تـــلقّيتُ فـــي أحشـــاءِ صـــدري طوالهـــا

ولـــيتَ قـــسيّاً قـــد رمـــتكَ ســـهامها ... يُـــقاسي فـــؤادي فـــي فـــداكَ نبالهـــا

وبـــيضُ صـــفاحٍ صـــافحتكَ فليتـــني ... وقيـــتُكها فـــي صـــفحتي صـــقالها

وأعـــظمُ مـــا يرمـــي القلـــوبَ بمحـــرق ... وتـــهمي لـــهُ ســـحبُ الجفـــونِ ســـجالها

عـــقائلُكم تـــسري بـــهنَّ إلى العـــدى ... نـــجائبٌ أنـــساها الـــمسيرُ عـــقالها

وزيـــنبُ تـــدعو والشـــجى ملـــؤ صـــدرها ... بـــمَنْ مـــلأت صـــدرَ الفضـــاءِ نوالهـــا

أيـــا أخـــوتي لا أبـــعدَ الـــلّهُ مـــنكم ... وجـــوهاً تـــودُّ الـــشهبُ تُمســـي مثالهـــا

نشـــدتكم هـــل تـــرجعونَ لـــحيّكم ... فـــتحيى عـــفاةٌ أتـــلفَ الـــدهرُ حالهـــا

نـــشدتكم هـــل تـــركزونَ رمـــاحكم ... بـــدارٍ لـــها الـــوفّادُ شـــدّت رحـــالها

وهـــل أســـمعنَ تصـــهالَ خـــيلكم الـــتي ... يـــودُّ بـــأن يُـــمسي الهـــلالُ نعالهـــا[1]

وهـــل أنـــظرُ البـــيضَ المحـــلاّةِ بالـــدما ... تقـــلّدتموها وانتـــضيتم نـــصالها

فـــيا لـــيتَ شـــعري هـــل أبيـــتنَ ليلـــة ... بـــبحبوحةٍ تُـــحمى وأنـــتم حمـــى لهـــا

---

١ - وما أظرف قول الأموي الأبيوردي في المعنى:

ولـــــو رأت البـــــدورُ نعـــــالَ خيلـــــي ... لصـــــرنَ بهـــــا حواســـــدَ للأهلّـــــه

وتُمسي دياري مثلُ ما قد عهدتها ... ملاذُ دخيلٍ ظلَّ يأوي حجالها
فُنيتم ولم تبلغْ كهولُ قبيلكم ... مشيباً ولا الشبّانُ تلقى اكتهالها
هبّوا إنّكم قاتلتمُ فقتلتم ... فما ذنبُ أطفالٍ تُقاسي نبالها
رجالهم صرعى وأسرى نساؤهم ... وأطفالهم في الأسرِ تشكو حبالها
فما لقصيٍّ أحجمت عن عداتها ... مذ استقصت الأوتارَ منها فما لها
وألويةُ الأشرافِ آلُ لويها ... لوتها الأعادي بعدَ ما اللّهُ شالها
وإنّ قناةَ الفخرِ من فهرٍ قصّدت ... ولم تلقَ من بعدِ الحسينِ اعتدالها
ومدركةٌ تدري عشيّةَ أدركت ... مناها العدى منها ونالت منالها
بنفسي قوماً زايلتني فلم أزل ... أرى كلَّ آنٍ نصبَ عيني خيالها
وكيفَ انثنت مقطوعةً وصلاتها ... ولم تترَ إلاّ بالنبي اتصالها
تعلُ القنا منهم وتنتهلُ الضبا ... وتغدو دماها علّها وانتهالها
مصائبُ لا نسطيعُ يوماً سماعها ... فواعجباً كيفَ استطعنا مقالها
فيا مَنْ عليهم تجعلُ الناسُ في غد ... وفي اليومِ من بعدِ الإله اتكالها
زففتُ إليكم من حجالِ بديهتي ... عروسَ نظامٍ دانَ أهلُ الحجى لها
فإن قُبلت هانتْ عظائمُ عثرتي ... وأيقنتُ أنّ اللّهَ فيها أقالها
فما ضرّ ديواني سوادُ طروسه ... إذا لقيتُ في الحشرِ منكم صقالها
وما ضرّ ميزاني ثقالُ جرائمي ... إذا كنتُ فيها مستخفّاً ثقالها
ولا أختشي هولاً وإن كنتُ طالحاً ... إذا قيل يومَ الحشرِ صالحُ قالها

وقال في رثائه (عليه السّلام):

رحـــلوا والأســـى بـــقلبي أقـــاما جـــيرةٌ جـــارُهم بـــهم لـــن يُضـــاما
ذهـــبوا والـــندى فـــعادَ الـــمنادي لا يـــرى مـــن يـــدِ الصـــروفِ اعتصـــاما
كـــم حبســـتُ الإنضـــاءَ بالـــدلى حـــتى خلـــــتها في وقـــــوفها آكـــــاما
وســـألتُ الـــرسومَ عـــنهم فمـــا أغـــنى ســـؤالي ومـــا شـــفى لـــي ســـقاما
وإذا مـــــا سألـــــتهنَّ أعـــــادت فـــي لـــسانِ الصـــداءِ منهـــا الكلامـــا
فكـــأنّي كـــنت الـــمناشد عـــنهم وهـــي كـــانت مـــناشداً مـــستهاما
يـــا ســـقى الـــلّهُ مـــعهداً قـــد ســـقته ســـحبُ أجـــفاني الـــدموعُ الســـجاما
خـــيّلَ الـــقلبُ لـــي بـــهِ وهـــو خـــال عـــرباً خـــيلهم تـــحوطُ الـــخياما
مـــن بـــني غالـــبِ الألى في المعـــالي غـــلبوا كـــلَّ غـــالبٍ لـــن يســـامى
هـــم بـــعلمٍ وفـــي نـــدى ونـــزال أرشـــدوا أرفـــدوا أراعـــوا حمامـــا
لـــستُ أنـــسى رئيســـهم خـــيرَ خلـــق الـــلّهِ رأسَ الـــهدى ثـــمالَ اليتامـــا
يـــومَ ثـــارتْ عـــلوجُ حـــربٍ لغـــي تبعـــــوا فيـــــه .....
أيقـــظوا لـــلحقودِ مـــنهم قـــلوباً هـــي كـــانت خـــوف الحســـام نيامـــا
وأحـــاطوا بـــابنِ الـــنبي عـــناداً لأبيـــــهِ ولم يـــــراعوا ذمـــــاما
فرمـــاهم بـــأسهمٍ مـــا رمـــاها يـــومَ حـــربٍ إلاّ ونـــالَ الـــمراما
وحمـــاةٌ قـــد ارتـــضاهم لـــديه شـــيعةً مـــثلَ مـــا ارتضـــوه إمامـــا
ســـادةٌ تـــنظر الـــوفودُ نـــداهم مثـــلما تـــنظرُ الـــعفاةُ الـــغماما

صـــيدُ حـــربٍ يـــستنزلونَ المنايـــا بالـــعوالي ويـــرهبونَ الـــحماما
وثـــبوا لـــلوغى بـــأسيافِ عـــزم حـــدّها أورثَ الـــسيوفَ الـــكهاما
وأبـــاحوا الـــقنا صـــدورَ الأعـــادي والمـــواضي نـــحورها والـــهاما
فـــكأنّ الـــوغى خـــريدةُ حـــسن أودعـــت مـــنهم الـــقلوبَ غرامـــا
أسفـــروا للـــلقى ولـــلنقعِ لـــيل كـــانَ لـــلشمسِ مـــن دجـــاهُ لثامـــا
وجلـــــوهُ بأوجـــــهٍ تتـــــمنى نيـــراتَ الـــسما لـــهنَّ الـــتثاما
وتـعاطوا لـدى الـوغى كـأسَ حتـف كـــمعاطاةِ مَـــنْ تـــعاطى الـــمداما
واحـــتسوه كـــي لا يســـاموا بضـــيم وأخـــو الـــعزّ ذلّـــةٍ لـــن يـــساما
وثـــووا في الرغـــامِ صـــرعى فأضـــحت تـــتمنّى الـــسما تـــكونُ الـــرغاما
وعـــدا الـــسبطُ للعـــدى فـــوقَ طـــرف خـــيلَ صـــقراً علـــى الحمـــائمِ حامـــا
فـــكأنّ الـــرياحَ مـــنهُ اســـتعارت يـــومَ عـــادٍ عـــدواً فأضـــحت رمامـــا
فلـــقَ الهـــامَ بـــالمهندِ حـــتى منـــعَ الـــدمَ أن يـــثورَ الـــقتاما
خـــضَّبَ الـــخيلَ بـــالدماءِ إلى أن كـــانَ مـــنها عـــلى الـــلغامِ اللغامـــا
غـــادرَ الـــخيلَ والـــرجالَ رمامـــا والـــقنا الـــسمرَ والـــنصالَ حطامـــا
بطـــلٌ كـــافحَ الألـــوفَ فـــريداً ولـــديه الأمـــلاك كـــانت قـــياما
وأتـــى الـــنصرُ طالـــبُ الأذنَ منـــه وإلـــيهِ الـــزمانُ ألـــقى الـــزماما
فأبـــى أن يمـــوتَ إلاّ شـــهيداً ميـــتةً فاقـــتِ الـــحياةَ مـــقاما
فكـــأنّ الحـــمامَ كـــانَ حـــياة وكـــأنّ الـــحياةَ كـــانت حـــماما

بـــأبي بـــاذلاً عـــن الـــدينِ نفســـاً هـــي نـــفسُ الوجـــودِ حيـــثُ اســـتقاما
يـــا أمـــيرَ القضـــاءِ كيـــفَ اســـتحلّت جـــارياتُ الـــقضاءِ منـــك الحرامـــا
أنـــتَ ربُّ الـــوغى ورُبَّ عـــبيد كفـــرت مـــن إلـــهها إلاّ نـــعاما
وأبـــو الـــبيضِ والـــقنا رُبّ ولـــد قـــد عـــصت والـــداً كريمـــاً همامـــا
يـــا قـــتيلاً شـــقت عـــليهِ المعـــالي جـــيبها واكـــتست ضـــناً وســـقاما
إنّ دهـــراً أخـــنى عـــليكَ لـــدهر عـــيرتهُ الـــدهورُ عـــاماً فـــعاما
بـــل ويـــوماً قـــتلتَ فـــيهِ لـــيوم قـــد كـــسا ثـــوبَ حـــزنهِ الأيامـــا
وسنـــــاناً أرداكَ فيـــــهِ ســـــنان خزيـــــهُ غـــــادرَ الـــــرماحَ تـــــماما
لـــستُ أنســـى كـــرائمَ السـبطِ أضـحت حائـــراتٍ لِـــما فـــقدنَ الـــكراما
تـــشتكي حـــرّ ثـــكلها وحـــشاها قـــد رأى فـــي الســـباءِ حـــراً ضـــراما
أي خـــطبٍ مـــن الـــرزايا تقاســـي فـــي قـــلوبٍ أذكـــت بـــهنَّ أوامـــا
نـــهبُ رحـــلٍ أم فـــقدهنّ حســـينا وبنـــي هـــاشم هـــماماً هـــماما
وإذا حـــنَّ فـــي الـــسبايا يـــتيم جاوبـــتهُ أرامـــلٌ ويتـــامى
وأمـــينُ الإلـــهِ فـــي الأرض بعـــد الـــسبطِ أضـــحى مـــقيّداً مستضـــاما
تـــارةً يـــنظرُ الـــنساءَ وطـــوراً أرؤســـاً بـــالرماحِ تـــجلو الظلامـــا
كـــيفَ يســـري بـــين الأعـــادي أســـيراً مَـــنْ يـــغادرُ وجـــودها إعـــداما
قيّـــدوه مـــن حلـــمهِ بـــقيود ربَّ حلـــمٍ يقـــيّد الـــضرغاما
يـــا بـــني خـــير والـــدٍ ليـــتَ عينـــاً مـــا بـــكتكم تـــسهَّدت لـــن تنامـــا

وفـــؤاداً مـــا ذابَ شـــجواً علـــيكم　　بـــاتَ لـــلوجدِ مـــنزلاً ومـــقاما
كـــلُّ بـــاكٍ عـــلى ســـواكم مـــلام　　كـــلُّ بـــاكٍ عـــليكم لـــن يُـــلاما
وإليـــكم مـــنّي خـــريدةُ حـــسن　　قـــلّدت مـــن جـــمانِ فكـــري نظامـــا
أبـــتغي مـــنكم الـــقبولَ وأرجـــو　　جائـــزاتٍ تنـــيلني الإكـــراما
فاقـــبلوها يـــا ســـادتي وأنـــيلوا　　فـــسوى نـــيلُ فـــضلكم لـــن يُرامـــا
كـــانَ فـــيها عـــونُ الإلـــه ابتـــداءً　　فـــاجعلوا مـــنكمُ الـــقبولَ اختتامـــا

وله في رثائه (عليه السّلام):

هـــل بعـــد موقـــفنا علـــى يبـــرين　　أحيـــا بطـــرفٍ بالدمـــوعِ ضنـــينِ
وادٍ إذا عاينـــــتَ بـــــين طلولـــــه　　أجريـــت عينـــي للحـــسانِ العـــينِ
فتـخالُ موسـى فـي انـبجاسِ مـحاجري　　مستـــسقياً للقـــومِ مـــاءَ جفونـــي
طلـــلٌ نظـــرت نؤيَّـــه محجـــوبة　　نظـرُ الأهلّـةِ في الـسحابِ الـجونِ[1]
تحـنى علـى سفـعِ الخـدودِ كأنّـها　　ســودُ الإمــاءِ حمــلنَ فــوق سفــينِ
لم تخـب نـارُ قطـينهِ حـتى ذكـت　　نـــارُ الفـــراقِ بقلـــبي المحـــزونِ
الدهـــرُ أقرضـــهُ العمـــارة برهـــة　　ثمَّ انتحـــاهُ بخلـــسةِ المديـــونِ

---

١ - النؤي - بالتشديد وضم النون وكسر ما بعدها. والنؤي كهدي -: الحفر حول الخباء والخيمة يمنع مسيل الماء، وأنأى الخيمة عمل لها نؤياً، (ق) وأرق منه قول العلامة السعيد الحبوبي:

يطلـــــبُ الرســـــمَ فـــــلا يعرفـــــه　　كهـــــلالِ الشـــــكِ يبـــــدو ويـــــزولُ

وابتـــاعَ جدَّتـــهُ الزمـــانُ بمـــخلق ورمـــى حمـــاهُ بصفـــقةِ المـــغبونِ
قـــالِ الحـــداةُ وقـــد حبـــستُ مطـــيهم مـــن بعـــد مـــا أطلـــقتُ مـــاءَ شـــؤوني
مـــاذا وقوفـــكَ في ملاعـــبِ خـــرّد جـــدَّ العفـــاءُ بربعـــها المســـكونِ
وقفـــوا معـــي حتـــى إذا مـــا اســـتيأسوا خلصـــوا نجـــيّاً بعـــد مـــا تركـــوني
فكـــأنّ يوســـفَ في الديـــارِ محـــكّم وكأنّنـــي بصواعـــهِ اتهمـــوني[1]
ويـــلاهُ مـــن قـــومٍ أســـاءوا صحـــبتي مـــن بعـــدِ إحســـاني لكـــلِّ قريـــنِ
قد كـدتُ لـولا الـحلمُ مـن جـزعي لِـما ألقـــاهُ أصفـــقُ بالشـــمالِ يميـــنِ
لكنّمـــا والـــدهرُ يعلـــمُ أنّنـــي ألقـــى حوادثـــهُ بحلـــمٍ رزيـــنِ
قلبـــي يقـــلّ مـــن الهـــمومِ جبـــالها وتســـيخُ عـــن حمـــلِ الـــرداءِ متـــوني
وأنـــا الـــذي لم أجزعـــن لرزيـــة لـــولا رزاياكـــم بنـــي ياسيـــنِ
تلـــكَ الرزايـــا البـــاعثاتُ لمـــهجتي مـــا ليـــسَ يبـــعثهُ لظـــى سجّـــينِ
كيـــفَ العـــزاءُ لهـــا وكـــلّ عشـــيّة دمكـــم بحمـــرتها السمـــاءُ تريـــني
والبـــرقُ يذكّـــرني وميـــضَ صـــوارم أردتكـــمُ في كـــفِّ كـــلِّ لعـــينِ
والرعـــدُ يعـــربُ عـــن حنـــينِ نـــسائكم في كـــلِّ لحـــنٍ للـــشجونِ مبـــينِ

---

١ - الصواع لغة في الصاع وهو مكيال يسع أربعة أمداد، وجاء في القرآن الكريم (نفقد صواع الملك).

وأبدع السيد السعيد الحبوبي بقوله من قصيدة:

أحبتنـــا الـــذين قـــد اســـتقلوا رويـــدكم التحمّـــلَ والزماعـــا
فـــإخوة يوســـفَ خلصـــوا نجيـــاً وقـــد صـــحبوا فـــؤدى لا الصـــواعا

يندبـــنَ قومـــاً مـــا هتـــفنَ بذكـــرهم ... إلاّ تضعـــضعَ كـــلُّ ليـــثٍ عريـــنِ
السالبـــــينَ النفـــــسَ أوّلَ ضربـــــة ... والملـــبسينَ المـــوتَ كـــلَّ طعـــينِ
لـــو كـــلّ طعـــنةِ فـــارسٍ بأكـــفهم ... لم يُخلـــقُ المـــسبارُ للـــمطعونِ[1]
لا عيـــبَ فيـــهم غيـــرَ قبـــضهمُ اللـــوا ... عنـــدَ اشتـــباكِ الـــسمرِ قـــبضَ ضـــنينِ[2]
سلكـــوا بحـــاراً مـــن دمـــاءِ أُميـــة ... بظهـــورِ خيـــلٍ لا بطـــونِ سفـــينِ
مـــا ساهـــموا الـــموتَ الـــزؤامَ ولا اشـــتكوا ... نصبـــاً بيـــومٍ بالـــردى مقـــرونِ
حتـــى إذا التقـــمتهمُ حـــوتُ القـــضا ... وهـــي الأمانـــي دونَ خيـــرِ أميـــنِ
نبذتـــهمُ الهيـــجاءُ فـــوقَ تلاعهـــا ... كالنـــونِ ينبـــذُ بالعـــرى ذا النـــونِ
فتخـــالُ كـــلاً ثمّ يونـــسَ فوقـــه ... شجـــرُ القـــنا بـــدلاً عـــن اليـــقطينِ
خـــذ في ثنـــائهمُ الجـــميلَ مقـــرّضاً ... فالقـــومُ قـــد جلّـــوا عـــن التـــأبينِ
هـــم أفضـــلُ الشـــهداءِ والقـــتلى الأُلـــى ... مدحـــوا بوحـــي في الكـــتابِ مبـــينِ
ليـــتَ المـــواكبَ والوصـــي زعيـــمها ... وقفـــوا كموقـــفهم علـــى صفيـــنِ
بالـــطفِّ كـــي يـــروا الأُلـــى فـــوقَ الـــقنا ... رفعـــت مصاحـــفها اتقـــاءَ منـــونِ
جعلـــت رؤوسَ بنـــي النـــبي مكـــانها ... وشفـــت قديـــمَ لواعـــجٍ وضغـــونِ
وتتبـــعت أشقـــى ثمـــودَ وتبّـــع ... وبنـــت علـــى تأســـيسِ كـــلِّ لعـــينِ

---

١ - المسبار - ما يسبر به الجرح. والسبر امتحان غور الجرح.

٢ - وقد حذا فيه حذو النابغة الذبياني بقوله:

ولا عيـــبَ فـــيهم غـــيرَ أنّ ســـيوفهم ... بهـــنَّ فلـــولٌ مـــن قـــراعِ الكتائـــبِ

وهو من شواهد البديعيين في باب المدح في معرض الذم.

الواثبيـــــنَ لظلـــــمِ آلِ محمّـــــد ... ومحمّـــــدٌ ملقـــى بـــلا تكفـــينِ
والقائليـــــنَ لفاطـــــمٍ آذيتنـــــا ... في طـــولِ نـــوحٍ دائـــمٍ وحنـــينِ
والقاطـــعينَ أراكـــةً كيمـــا تقيـــل ... بظـــــلِ أوراقٍ لهـــــا وغصـــــونِ
ومجـمّعي حطـبٍ علـى البيـتِ الـذي ... لم يجتـــمع لـــولاهُ شمـــلُ الديـــنِ
والداخلـــينَ علـــى البتـــولةِ بيـــتها ... .
والقائديـــــنَ إمامهـــــم بنجـــــاده ... والطهـــرُ تدعـــو خلفـــهُ برنيـــنِ
خلّـوا ابـنَ عمّـي أو لأكشـفَ لـلدعا ... رأســـي وأشكـــو للإلـــهِ شجـــوني
مـــا كـــانَ ناقـــةُ صالـــحٍ وفصـــيلها ... بالفـــضلِ عنـــدَ اللّـــهِ إلاّ دوني
ورنـــت إلى القـــبرِ الشـــريفِ بـــمقلة ... عبـــرى وقلـــبٍ مكمـــدٍ محـــزونِ
قالـــت وأظفـــارُ المصـــابِ بقـــلبها ... غوثـــاهُ قـــلَّ علـــى العـــداةِ معـــيني
أبتـــــاهُ هـــــذا .... تُبعـــا ومـــالَ النـــاسُ عـــن هـــرونِ
أي الرزايـــــا أتّقـــــي بتجلـــــد ... هـــو في النـــوائبِ مـــذ حـــييت قـــريني
فقـــدي أبي أم غصـــبَ بعـــلي حقّـــه ... .
أم أخذهـــم إرثـــي وفاضـــلَ نحـــلتي ... أم جهلـــهم حقّـــي وقـــد عرفـــوني
قهـــروا يتيـــمكَ الحـــسينَ وصنـــوه ... وسألتـــهم حقّـــي وقـــد نهرونـــي
باعـــوا بضائـــعَ مكـــرهم وبزعـــمهم ... ربحـــوا ومـــا بالـــقومِ غيـــرَ غبـــينِ
ولربمـــــا فـــــرحَ الفـــــتى في نيـــــله ... إربـــاً خلـــعنَ علـــيهِ ثـــوبَ حزيـــنِ
وإذا أضـــلّ اللّـــهُ قومـــاً أبصـــروا ... طـــرقَ الهـــدايةِ ضلّـــةً في الديـــنِ

المدائح والتهاني

وقال مادحاً أهل البيت (عليهم السّلام) ومتوسلاً فيهم إلى اللّه (عزّ وجلّ):

ما انفكَّ عنّي من زماني مدبر ... من صرفهِ إلاّ دهاني مقبلُ
دافعتُ ما لا يُستطاعُ دفاعه ... وحملتُ من بلواهُ ما لا يُحملُ
حتى إذا لم تبقَ لي من حيلة ... قالت لي الأيامُ ماذا تفعلُ
أوَ ما درتْ أنّ ابنَ فاطمَ موئلي ... وتخلّصي فيهِ ونِعْمَ الموئلُ
الكاشفُ الأزماتِ صرحُ محلها ... باجش عن آلائهِ يستهللُ
يا حجّةَ اللّهِ التي بلغت إلى ... الأقصى وحكمتهِ التي لا تُعقلُ
أوَ ليسَ توبةُ آدمٍ لو لم يكن ... متوسّلاً بجنابكم لا تُقبلُ
وبكم نجا نوحٌ وأغرقَ قومه ... لججٌ علا الأطوادِ منها الأسفلُ
وعلى خليلِ اللّهِ قد عادت بكم ... برداً لظى نارٌ تشبُّ وتُشعلُ
وبكم لموسى حيثُ سُخّرتِ العصا ... بلغَ المرامَ بها وضلَّ المبطلُ
وبسرّكم عيسى أجابَ نداءه ... الأمواتُ منطبقاً عليها الجندلُ
وألانَ داودُ الحديدَ وأُعطي الملك ... ابنهُ فيكم على ما يأملُ
وبكم لآصفَ عرشُ بلقيسَ أتى ... لا كارتدادِ الطرفِ بل هو أعجلُ
وبكم دعا اللّهَ العظيمَ لضرّه ... أيوبُ فانكشفَ البلاءُ المعضلُ
ولأجلكم خلقَ الوجودَ وفيكم ... بينَ البريّةِ كلُّ صعبٍ يسهلُ
وبقضبكم شيدَ الهدى وبها على ... أعدائهِ نُصرَ النبي المرسلُ

فـبحقِّ مَـنْ أعطـاكمُ الفضـلَ الـذي ... مـا فـوقكم فـيهِ سـواهُ أفضـلُ
جـودوا عـليّ بعطفـةٍ مـن مـنِّكم ... كـرماً فـجودكمُ الأعـمُ الأجـزلُ
وتـقبّلوا مـنّي وإن أكُ جـانياً ... فـالعبدُ يـجني والـموالي تقبـلُ
عـبدٌ أسـاءَ فـأينَ مـن سـاداته ... إحـسانُ عـفوهم الـذي لا يجهـلُ
فـعلَ الـعظائمَ واسـتجارَ بعـزِّكم ... أيـكونُ مـنهُ جـزاؤهُ مـا يفعـلُ
الـلؤمُ شـأني والـمكارمُ شـأنكم ... وعـلى سـجيّتها الـبريّةُ تعمـلُ

قال يهنئ العلامة السيد مهدي القزويني طاب ثراه في ولده السيد محمد بقرانه الاول سنة ١٢٨٩ هـ [١].

حييـت مـن رشـأ غريـر ... أسـفرت عـن قمـر منـير
وبسـمت عـن شـبم اللمـى ... شـنب المـذاق مـن الثغـور

---

١ - لقد تجارى في هذه الحلبة جماعة من الشعراء منهم السيد مهدي بن السيد داود في قصيدة مطلعها:

ابـنى النبـوة إن عـرس محمـد ... قـرت بـه أحـداق كـل موحـد

ومنهم الشيخ علي المطيري في قصيدة أولها:

سـقى الفيحـاء هطـال سـجوم ... وخفـق في خمائلهـا النسـيم

وقد أثبتناها مع ترجمته في الجزء الثاني من البابليات، وللسيد حيدر الحلي قصيدة مطلعها:

طلعـت كبـدر دجـى تـزف سـلافها ... يـا حـي طلعتهـا وحـي زفافهـا

وقد كان صاحب الديوان من السابقين في هذا الميدان.

وأتيـــــت يعطفـــــك النســـــيم تعطـــــف الغصـــــن النضـــــير
تعطـــــو كمثـــــل الضـــــبي لا مثـــــل (القطـــــاة الى الغـــــدير)
مَـــــنّ علـــــيَّ لوجنتيـــــك ولـــــيس بـــــالمنّ اليســـــير
ســـــلب المدامـــــة لونهـــــا وهـــــي الـــــتي ســـــلبت شـــــعوري
أيـــــام حـــــال شـــــعاعها بـــــين البصـــــيرة والضـــــمير
لا نتقـــــي قـــــول الوشـــــا ة ولا نبـــــالي في غيـــــور
أمرصـــــعاً شمـــــس الطلـــــى بفواقـــــع الشـــــعرى العبـــــور[1]
ذقهـــــا وعبّرهـــــا اليّ تشـــــمني نشـــــر العبـــــير
فلمـــــاك عنـــــدي والطلـــــى (كلتاهمـــــا حلـــــب العصـــــير) [2]
واذا ســـــفرت فانمـــــا ســـــفر الزمـــــان عـــــن الســـــرور
وغـــــدت لياليـــــه جميعـــــا مقمـــــرات في الشـــــهور
وغدايتيـــــه تغطرفـــــاً ويفـــــوق فخـــــراً في الـــــدهور
مـــــا الفطـــــر مـــــا النـــــوروز مـــــا الاضـــــحى أخـــــو الشـــــأن الكبـــــير
اليـــــوم باشـــــرت المســـــرة مهجـــــة الهـــــادي البشـــــير
وغـــــدا عليـــــه الـــــوحي يهـــــبط بالتهـــــاني والحبـــــور

---

١ - الشعرى العبور والشعرى الغميصاء اختا سهيل (النجم المعروف).

٢ - تضمن فيه جزءاً من قول الشاعر:

كلتاهمـــــا حلـــــب العصـــــير فعـــــاطني بزجاجـــــة ارخاهمـــــا للمفصـــــل

بســـــرور ذي القـــــدر الرفيـــــع وحجـــــــة اللّـــــــه القـــــدير
العـــــالم الحكـــــم الـــــذي مـــــا خـــــان يومـــــاً في نقـــــير
ســـــيان عنـــــد قضـــــائه قـــــدر المبجـــــل والحقـــــير
ربّ الخورنـــــــق عنـــــــده (ربّ الشـــــــويهة والبعـــــــير)
الباعـــــث الـــــدهماء للاضـــــياف في اليـــــــــوم المطـــــــــير
كـــــبرت بـــــان تمســـــى أثافيهـــــا كرضـــــــــوى أو ثبـــــــــير
لـــــو كـــــان في عصـــــر بـــــن جـــــذعان ووالـــــده البشـــــير
لكفـــــى الوليمـــــة عمّـــــه في الراســـــيات مـــــن القـــــدور
يـــا حاســـد المهـــدي (غـــض الطـــرف انـــــــك مـــــــن نمـــــــير)
اربـــــــعْ وكـــــــنْ متجرعـــــــاً عمـــــر المـــــدى حســـــك الصـــــدور
كـــــم طـــــامع بعـــــلاه قبلـــــك طـــــال بالبـــــاع القصـــــير
اقعـــــى كمـــــا اقعـــــى ابـــــوه لـــــ ـــــــعجز ذي لهـــــث عقـــــور
هيهـــــات تـــــدرك شـــــأوه أيـــــن الثمـــــاد مـــــن البحـــــور
ان البحـــــــــار لقطـــــــــرة مـــــن جـــــود (جعفـــــره) الغزيـــــر
هـــــو جعفـــــر بـــــن محمـــــد والصـــــادق القـــــول المشـــــير
يرمـــــــي الغيـــــــوب بفكـــــــرة رمـــــي الســـــهام مـــــن الجفـــــير
وتعـــــــود وهـــــــي كأنمـــــــا كانـــــت لديـــــه مـــــن الحضـــــور
ســـــــله بكـــــــل عويصـــــــة فلقـــــد ســـــقطت علـــــى الخبـــــير

فهـــو ابـــن بجـــدتها الـــذي اثنـــت عليـــه يـــد المشـــير
لـــولا ابـــو حســـن لقـــال النـــاس كـــان بـــلا نظـــير
هـــو صـــنوه وقســـيمه في كـــل مكرمـــة وخـــير
مـــا ميـــز بينهمـــا وهـــل فـــرقُ لشـــبَّر مـــن شـــبيرِ
عـــن نعتـــه صـــام العقـــول فلـــيس تلقـــى مـــن فطـــور
لـــو رامـــه العقـــل المجـــر د عـــاد في بصـــر حســـير
وتكـــاد حـــدة ذهنـــه لتبـــين عـــن ذات الصـــدور
ســـروا فلـــيس بمســـلم مـــن حـــاد عـــن هـــذا الســـرور
بمحمـــد بـــن محمـــد ذي الطـــول والنســـب القصـــير
بفـــتى تشـــبب بـــالعلى طفـــلا يغـــذى بـــالحجور
وتوسمـــت منـــه المراضـــع هيبـــةَ الملـــك الخطـــير
حـــتى ترجـــل عـــن ســـر يـــر وامتطـــى أعلـــى ســـرير
نظـــر الـــورى منـــه ثبـــيرا يجتـــبي فـــوق الاثـــير
وضـــعت لمنطقـــه المســـا مـــع مـــن صـــغير أو كبـــير
فـــاذا رأيـــت رأيـــت منـــه هيبـــةَ الاســـدِ الهصـــور
واذا سمعـــت فعـــن فـــمّ المـــولى الملقـــب بـــالامير
يهنـــيهم الفـــرح الـــذي يبقـــى علـــى أبـــد الـــدهور
حـــتى يضـــاعفه (الحســـين) بيـــوم بشـــر مســـتنير

المنتمـــــي للـــــذروة العليـــــاء مـــــن مضـــــر البـــــدور
مـــــتكهلاً عصـــــر الشـــــبا ب بمنســـــك الشـــــيخ الكبـــــير
وجـــــرى بميـــــدان الرهـــــان لغايـــــة الشـــــرف المنـــــير
لا بالبليـــــد ولا اللهيـــــد ولا الغـــــبي ولا العثـــــور
مـــــن معشـــــر شـــــغلتهم العليـــــاء عمـــــن في الخـــــدور
لـــــولا طلابهـــــم بقـــــا ء ســـــلالة الهـــــادي البشـــــير
كـــــي لا تبيـــــت الارض خاليـــــة مـــــن الثقـــــل الصـــــغير
وفـــــروا النســـــاء علـــــى الخـــــدو ر تكرمـــــاً فعـــــل الحصـــــور
واذا هـــــم خطبـــــوا لانفســـــهم منيعـــــات القصـــــور
خطبـــــوا الكـــــرائم للاكـــــا رم والشـــــموس الى البـــــدور
مـــــن كـــــلِّ بيـــــتٍ مـــــن بيـــــو تـــــات العلـــــى علـــــم شـــــهيرِ
أنظـــــر فهـــــل تلقـــــى ســـــوا هـــــم ذا حمـــــى للمســـــتجير
فلكـــــم ذوات حشاشـــــة صـــــدعت لمقهـــــورٍ أســـــير
فزعـــــت إلـــــيهم وهـــــو في اظفـــــار ذي لبـــــد ظفـــــير
جـــــاؤا بـــــه مـــــن بـــــين شـــــد قـــــي ضـــــيغم عـــــالي الـــــزئير
يـــــا أيهـــــا الملـــــك المغلّـــــف بالمـــــداد عـــــن العبـــــير
ومـــــن الكتـــــاب وزيـــــره أكـــــرم بـــــذلك مـــــن وزيـــــر
حســـــدت نمـــــارق كـــــل ملـــــك مـــــا وطـــــأت مـــــن الحصـــــير

كـــــم ليلـــــة احييتهـــــا بهـــــلاك ابـــــاء الشـــــرور
بيراعـــــــــة قلّبتهـــــــــا بـــــين المحـــــابر والســـــطور
و (صـــــوارم) لـــــك ماضـــــيا ت في رقـــــاب بـــــني الغـــــرور
امضـــــى علـــــيهم مـــــن صـــــوا رم يـــــوم (بـــــدر) في النحـــــور
لـــــو تثنـــــين لـــــك الوســـــا دة فهـــــت بـــــالجم الغفـــــير
وابنـــــت عـــــن صـــــحف الخليـــــل وصـــــحف موســـــى والزبـــــور
وابنـــــت عـــــن انجيـــــل عيســـــى والكتـــــــــاب المســـــــــتنير
وحكمـــــــــت في اربابهـــــــا فيمـــــا علـــــيهم مـــــن أمـــــور
وهـــــديتهم ســـــبل الهـــــدى بعـــــد التخـــــبط في الوعـــــور
لكـــــن صـــــمَّت تأســـــياً بمقـــــر شقشـــــقة الهـــــدير
العلـــــم حبوتـــــك الـــــتي مـــــا نلتهـــــا بالمســـــتعير
يبـــــدوا اليـــــك لبابـــــه وســـــواك يخضـــــم بالقشـــــور
فـــــاذا تســـــمَّى فيـــــه فـــــا الاعمـــــى يُســـــمى بالبصـــــير
وأقـــــول ذا عـــــوداً علـــــى بـــــدء بـــــلا ريـــــب وزور
لا أحفلـــــــــن بعـــــــــاذل واللّـــــه في هـــــذا عـــــذيري
صـــــنت الركـــــاب فلـــــم اقـــــل الالكـــــم (يانـــــاق ســـــيري) [1]

---

١ - فيه الاكتفاء والتضمين لبيت ابي النجم العجلي وهو من الشواهد:

يـــا نـــاق ســـيري عنقـــا فصـــيحا الى ســـــــــــليمان فنســـــــــتريحا

ابـــــــداً ولـــــــيس لغـــــــيركم افضـــــيت عمـــــا في ضـــــميري
كـــــــم لهفـــــــة بردتهـــــــا بنـــــــدى اكفكـــــــم الغزيـــــــر
فاليكهـــــــا غـــــــراء ترفـــــــل بالثنـــــــــــا لا بـــــــــــالحرير
يلهـــــــي الفـــــــرزدق حســـــــنها عـــــن شـــــتم صـــــاحبه جريـــــر
نهـــــج البلاغـــــة مـــــا تحـــــرر لا مقامـــــــــــات الحريـــــــــري
واســـــــلم نصـــــــيراً للهـــــــدى فلقـــــد تعـــــرى عـــــن نصـــــير

وله يهنئ الحاج محمد صالح كبه [1] بقدوم ولديه الحاج محمد رضا والحاج مصطفى من الحج سنة ١٢٨٦.

طربـــت فعـــمَّ الكـــرام الطـــرب وضـــوء ذكـــاء يمـــدُّ الشـــهب

وملـــت فمالـــت لـــك المكرمـــات ســـروراً لمـــا نلـــت ممـــا تحـــب

اذا اهتـــز مـــن دوحـــة ســـاقها فـــلا عجـــب ان تُهـــزَّ العـــذب

---

١ - آل كبة بيت مجد ادب وتجارة واسعة في بغداد قطنت دار السلام منذ العهد العباسي وتنسب اسرتهم الى قبيلة (ربيعة) قال الشيخ حمادي نوح الحلي المترجم في البابليات:

مســـحت ربيعـــة في خصـــال زعيمهـــا في الافـــق ناصـــية الســـماك الاعـــزل

وقال والدنا المرحوم الشيخ يعقوب من قصيدة في ديوانه المطبوع:

مـــن القـــوم قـــد نالـــت ربيعـــة فـــيهم عـــلا نحوهـــا طـــرف الكواكـــب يطمـــح

ولهم يد بيضاء في تشجيع الحركتين العلمية والادبية في القرن الماضي وكانت مواسم افراحهم واتراحهم مضامير تتبارى بها شعراء العراق، ومن مشاهيرهم في القرن الثاني عشر الحاج مصطفى الكبير المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ واشتهر بعده ولده الحاج محمد صالح المولود سنة ١٢٠١ هـ وكان على جانب عظيم من الورع والنسك له حظ وافر من العلوم العربية وقسط من علوم الدين غير أن مزاولته للتجارة أدى الى خمول ذكره العلمي وكان محباً للعلم والادب وللعلماء والشعراء عليه عدات يتقاضونها شهرياً وسنوياً، ومن أعماله الخالدة الحصون والمعاقل التي بناها للزائرين وقوافل المسافرين بين بغداد وكربلاء وبين كربلاء والنجف وبين بغداد والحلة وبين بغداد وسامراء وكانت وفاته سنة ١٢٧٨ هـ وحمل باحتفال عظيم الى النجف ودفن مع أبيه المصطفى في مقبرة لهم قرب باب الطوسي.

وصـــال علـــى الحـــزن جـــيش الســـرور فشـــــرّده وانثـــــنى بالغلـــــب
وخـــــيّم في القلـــــب لا يبتغـــــي رحـــيلا وجـــودك كـــان الســـبب
ولمـــا ابتهجـــت بـــدا الابتهـــاج علـــى الخلـــق مـــن عجمهـــا والعـــرب
كـــأن ســـــرورك في العـــالمين يجـــاري نوالـــك أنّ ذهـــب
الى قـــول قـــائلهم صـــادقاً كأنـــا ريـــاض ومنـــك الســـحب
ولـــولا ابتســـام ومـــيض الغمـــام لمـــا ابتســـم النـــور فـــوق القضـــب
ولا عجـــب أن تســـرَّ الانـــام ولـــو لم تُســـر لكـــان العجـــب
ألســـت الـــذي قـــد بعثـــت الســـرور الى كـــل قلـــب عظـــيم الكـــرب
وأنـــت الـــذي قـــد مـــلات الجفـــان مدعدعـــة قـــد علـــون الهضـــب
تـــرى النـــاس مـــن وارد ســـاغب يعـــود بطينـــاً عقيـــب الســـغب
فلـــو حـــاول الطـــير منهـــا الطعـــام بـــأم الســـما نـــال مـــا قـــد طلـــب
ولـــو قصـــد الـــوحش ادراكهـــا لمـــا مسَّـــه مـــن طِـــويَّ مـــا حُجـــب
وشـــدت علـــى الطـــرق للســـائلين قصـــور عـــلا شـــيدَ فيهـــا الحســـب
وكـــم قـــد تفقـــدت مـــن مرمـــل وارملـــــة ويتـــــيم ســـــغب
وانعشـــــت أفئـــــدة مـــــنهم تكابـــــد في الحادثـــــات النـــــوب
وآخـــر جـــاءك يشـــكو اليـــك مـــن الـــدهر خطبـــاً عليـــه خطـــب
فألفـــــاك أســـــرع مســـــتنجد الى مـــــا دعـــــوه اليـــــه وثـــــب
يـــداوى بـــك الفقـــر حـــتى يـــزول مـــداواة ذي الطـــب للمســـتطب

فمـــن كـــان ذا شـــأنه في الزمـــان كـــان حقيقـــاً علـــى ان يحـــب
ومـــن شـــاطر النـــاس أموالـــه فقـــد شـــاطرته الرضـــا والغضـــب
أبـــا المصـــطفى قـــد ســـبقت الكـــرام لغاياتهـــا واحتويـــت القصـــب
فللّـــــه دَرك مـــــن ماجـــــد عـــن الحـــق مـــا مـــال فيـــه غضـــب
تلـــــذذ في بعـــــد أحبابـــــه ليـــدنو مـــن اللّـــه أو يقـــترب
ومـــا لـــذة البعـــد فيمـــا يـــرى بأيســـر مـــن لـــذة المقـــترب
تـــوارثتم الحـــج جـــيلا فجـــيلا كمـــا ورث الهـــاشمي النســـب
فكـــــاد يحـــــوّل مولـــــودكم عـــن المهـــد فـــوق ظهـــور النجـــب
كـــأن لكـــم مكـــة مـــوطن يهـــزكم لحماهـــا الطـــرب
يشـــوقكم الـــبرق مـــن نحوهـــا ويصـــيبكم الـــريح أمـــا يهـــب
وطـــأتم ثراهـــا فآثـــاركم مكـــررة عنـــدها في الكتـــب
كمـــا ان آثـــاركم في الزمـــان علـــى أهلـــه واضـــحات الشـــهب
فصـــارت اذا جاءهـــا ابـــن لكـــم رأت في محيـــاه عنـــوان أب
فتعـــرف في شـــيخكم كهلهـــا بســـيماء عـــز عليـــه غلـــب
اذا جئـــتم أرضـــها رحّبـــت أباطحهـــا فـــيكم والهضـــب
لعمـــري اذا كنـــتم تســـرعون الى الحـــج اول عـــام يجـــب
فكيـــف يفـــوتكم غـــيره ومـــا غـــيره مثلـــه في التعـــب
ارى الحـــج شـــاهد عـــدل لكـــم بتأديـــة الفـــرض مهمـــا وجـــب

فمـــن نـــال في عزمـــه النـــيرات لم يعيـــــه نيلـــــه للســـــحب
ولا غـــــرو ان يـــــركبن الـــــذلول فـــتى لـــيس يعييـــه ركـــب الصـــعب
أرى اللّـــه أثـــنى علـــى الانبيـــاء لامـــرهم الاهـــل فيمـــا أحـــب
وهـــا أنـــت تـــأمر في الواجبـــات أهاليـــــك طـــــراً وبالمســـــتحب
وفارقـــــت عـــــامين في حبـــــه حبيبيـــــك تشـــــكره محتســـــب
كـــأن الحجـــاز وقـــد أوطئـــآ محيـــا ثـــراه خفـــاف النجـــب
غـــدا بهمـــا حاســـداً للعـــراق كمـــا حســـد الاعجمـــي العـــرب
ورام بقاءهمـــــــا عنـــــــده ليعلـــو علـــى غـــيره في الرتـــب
ويخصـــــب فضـــــلاً بيمنيهمـــــا لـــه كـــل ربـــع محيـــل جـــدب
فـــأتحف عـــامين نيـــل المـــنى وزال عـــن المجـــد بـــين العطـــب
لـــيهن أبـــا المصـــطفى والرضـــا رضـــا اللّـــه والمصـــطفين النجـــب
عشـــية حـــلاّ عـــن الـــيعملات نســـوعاً وشـــدَّ العقـــال الركـــب
وســـارا وقـــد لبّيـــا معلنـــين بقلـــبٍ ســـليمٍ ونطـــق عـــذب
وطافـــا بـــدمع غـــداة الطـــواف يضـــاهي غـــروب الحيـــا المنســـكب
وكـــم دعـــوات لـــدى عرفـــات علـــت منهمـــا واخـــترقن الحجـــب
صـــدقن امانيهمـــا في مـــنى وربَّ أمـــان رزقـــن الكـــذب
وقـــد شـــكر اللّـــه ســـعييهما واعطاهمـــا منـــه نيـــل الارب
ومـــذ قضـــيا مـــن فـــروض الالـــه مـــا اللّـــه أوجـــب أو مـــا نـــدب

أثـــــارا ليثـــــرب نضـــــويهما فطـــورا ذميـــلا وطـــوراً خبـــب
الى أن بـــــدت قبـــة المصـــطفى عليهـــا رواق المعـــالي ضـــرب
كـــأن الســـماوات أرض لهـــا وبـــالعرش قـــد نـــيط منهـــا الطنـــب
أناخـــا وســـارا لهـــا ماشـــيين وخـــدّيهما عفـــرا في الـــترب
وزارا النـــبي فـــزادا عُـــلا وفخـــراً علـــى كـــل عـــالي الرتـــب
وقامـــا ازاء قبـــور البقيـــع مقامـــاً تصـــانع فيـــه الكـــرب
يـــرد الى القلـــب دمـــع العيـــون حـــذاراً ويرضـــى بـــدون الطلـــب
وســـارا يريـــدان أرض العـــراق وأعـــين ســـكانه ترتقـــب
بـــأنيق تطـــوي فجـــاج الوهـــاد كطـــيّ الســـجل بهـــا للكتـــب
الى أن أتـــت طـــور وادي الغـــري ونـــور التجلـــي عليـــه ثقـــب
ببـــاب مدينـــة علـــم الالـــه ثنـــت بعـــد طـــول المســـير الركـــب
وقامـــا يجـــران بـــرد الســـرور وان رغـــم الحاســـد المكتئـــب
وقبلـــت وجهيهمـــا شـــاحبين شـــحوباً بـــه ضـــاء وجـــه الحســـب
ومـــا الـــنقص ان تشـــحبن الوجـــوه والـــنقص إن وجـــه عـــرض شـــحب

وقال يمدح الحاج محمد رضا بن الحاج محمد صالح كبه في ضمن كتاب منثور بعث به اليه [1].

أمـــا الحبيـــب فآخـــذ بـــدلا ... مـــني وابـــدل وصـــله ملـــلا
هـــو بالرقـــاد يبيـــت مكـــتحلا ... إذ بالســـهاد أبيـــت مكـــتحلا
وأقـــول لليـــل الطويـــل لمـــا ... القـــى كأنـــك قـــد خلقـــت بـــلا
ان كـــان أنســـاه الـــوداد هـــوى ... غـــيري فـــاني مـــا حييـــت فـــلا
مـــن لي بليـــل مـــا وددت لـــه ... صـــبحاً وان شـــاهدته عجـــلا
بـــات الحبيـــب بـــه نغازلـــه ... طـــوراً وطـــوراً ننشـــد الغـــزلا
نـــروي حـــديثاً هزنـــا طربـــاً ... هـــز المدامـــة شـــارباً ثمـــلا
نـــزداد في تكـــراره فرحـــاً ... فـــرح (الرضـــا) في وافـــد نـــزلا
المرتـــدي بـــرداء كـــل تقـــى ... والمهتـــدي لطريـــق كـــل عـــلا
مـــن لـــيس يرقـــى مـــا ارتقـــاه فـــتى ... مـــن ذا بنســـر يلحـــق الحجـــلا
ومنـــزّه الاحســـان مـــن نكـــد ... كـــالعين مـــا لم تقبـــل الحـــولا
مـــن قـــد أعـــدّ لضـــيفه نـــزلاً ... لا يبتغـــي عـــن رحبهـــا حـــولا

---

١ - الحاج محمد رضا كبه هو ثاني انجال الحاج محمد صالح السالف الذكر ولد سنة ١٢٤٥ هـ وكان شهماً أديباً كريم الطبع والسجايا وتوفي في حياة والده سنة ١٢٨٢ هـ ورثاه السيد حيدر الحلي وعمه السيد مهدي بن السيد داود وغيرهما من شعراء بغداد والحلة منهم صاحب الديوان.

بيـــت لمفـــترق الجـــدود بـــه جمـــع تخـــال أبـــاهم رجـــلا
وتـــرى لاشـــتات العفـــاة بـــه شمـــلاً علـــى المعـــروف مشـــتملا
بيـــت بأبيـــات القـــريض لـــه ذكـــر يعطـــر نشـــره الســـبلا
ذكـــر اذا فـــاز الســـماع بـــه أضـــحى يفـــوق فخـــره المقـــلا
عَلـــم الالـــه بـــأن رافعـــه قـــد حـــاز فيـــه العلـــم والعمـــلا
وتـــرى بـــه أضـــعاف مـــن رحلـــوا عنـــه ومـــن حلـــوا بـــه رســـلا
فرقـــاً قـــد افترقـــت لغـــاتهم فـــالبعض قـــول الـــبعض مـــا عقـــلا
فـــيهم يعـــول فـــتى اخـــو كـــرم لـــو عـــال هـــذا الـــدهر مـــا بخـــلا
بحـــر اذا مـــا فـــاض ســـاحله تـــرك البحـــار لفيضـــه وشـــلا
لـــو يســـتمد الغيـــث نائلـــه لم تلـــقَ ارضـــاً تشـــتكي محـــلا
جبـــل اذا لاذ المخـــوف بـــه أمـــن المخـــاوف وانثـــنى جـــذلا
فـــالى تخـــوم الارض غـــار لـــه أصـــل وزاحـــم فرعـــه زحـــلا
قـــال العـــذول وقـــد رأى ســـرفاً أتـــراه يعلـــم بالـــذي فعـــلا
ومـــن الـــذي منـــع الضـــياء ذكـــاً يومـــاً وردّ العـــارض الهطـــلا
ان الـــذي عشـــق العـــلاء رأى مـــا دونهـــا مـــن هائـــل جلـــلا
نـــدب إذا القـــى فضـــيلته التقفـــت فضـــائل ســـائر الفضـــلا
فكأنمـــا هـــنّ الجبـــال ومـــن يـــده عصـــا موســـى لهـــا جعـــلا
ســـاد الكهـــول فـــتى وتحســـبه شـــيخاً اذا مـــا قـــام مبـــتهلا

حســـن الخلائـــق لـــو تفـــاخره زهـــر الكواكـــب ســـامها خجـــلا
مـــن صـــدره يعطـــي الفضـــا ســـعة ويضـــيق عـــن حقـــد بـــه نـــزلا
قـــالوا لقـــد أوجـــزت نظمـــك في مـــن قـــد أطـــال بـــه الـــورى امـــلا
فـــأجبتهم قـــربى لـــه منـــع التفصـــيل فيمـــا قلتـــه جمـــلا
كالصـــوت لـــولا بعـــد ســـامعه مـــا طـــال بـــل مـــا في النـــداء عـــلا
مـــا ذاك مـــن نيلـــت مودتـــه فيمـــا يزخرفـــه الفـــتى حـــيلا
الشـــمس تشـــرق خلقـــة وتـــرى المصـــباح لـــولا الزيـــت مـــا اشـــتعلا

قال يهنئ أحد السادات الافاضل في ختان أحفاده:

قـــم عاطنيهـــا كميـــت اللـــون تضـــطرم يجلـــى بهـــا الهـــمّ بـــل تعلـــو بهـــا الهمـــم
ســـبية مـــن (ســـبا) جـــاءت تنبئنـــا عـــن حالهـــا مـــذ عراهـــا ســـيلها العـــرم
عتقـــة العصـــر مـــا زالـــت تحـــدثنا عـــن عصـــر عـــاد ومـــا راقـــت بـــه ارم
واعجـــب لهـــا عصـــمت يـــوم الســـفينة مـــن طوفـــان نـــوح ومـــا اذ ذاك معتصـــم
قتالـــة لهمـــوم القلـــب لا ســـيما وان قاتلهـــا معســـوله الشـــيم
قـــم واســـقنيها فـــدتك الـــنفس مـــن رشـــأ مـــا زلـــت اخلصـــه حـــبي .....
يزيـــدني طمعـــاً فيـــه تدلُّلـــه كـــأن قولـــك لا في مســـمع نعـــم
دعـــني أواســـي كرامـــاً في ســـرورهم واســـاهم بالســـرور البـــأس والكـــرم
وســـرّ جـــدهم الهـــادي النـــبي ولا عجـــب اذا ســـر في قـــوم اليـــه نمـــوا
اليـــوم أضـــحت تهنيـــه ملائكـــة الـــرحمن عـــن فـــرح والرســـل والامـــم

آســـاد قـــوم أباحـــت مـــن شـــبولهم | دم الختـــــان فيـــا للّـــــه درهـــــم
قـــالوا الختـــان طهـــور قلـــت انهـــم | (مطهـــــرون نقيـــــات ثيـــــابهم) [1]
دم علـــى أنمـــل الحجـــام كـــاد لـــه | لـــو لم يكـــن ســـنة ان لا يصـــان دم
دم تـــود العـــلا شـــوقاً لـــه وهـــوى | مـــن فـــوق وجنتهـــا لـــو كـــان ينســـجم
وإنهـــا ابتهجـــت فيـــه كمـــا ابتهجـــت | حســـناء في خـــدها مـــن حمـــرة ضـــرم
قـــوم تقاسمـــت الـــدنيا ســـرورهم | كمـــا تقسَّـــم فيهـــا مـــنهم الـــنعم
ســـادوا بآبـــائهم بعـــد الجـــدود فـــلا | عصـــرٌ يمـــر ومـــا مـــنهم بـــه علـــم

وقال مهنئاً بعض السادات:

حبـــذا أنـــت مـــن حبيـــب مســـلم | ومشـــــــير بطرفـــــــه متبســـــــم
خلتـــــه بـــــين كـــــل ظـــــبي غريـــــر | بـــــدرتم يضـــــئ مـــــا بـــــين انجـــــم
لـــــك خـــــدّ بمهـــــر خـــــال عليـــــه | خطـــــب القلـــــب للغـــــرام فـــــانعم
كـــان قلـــبي مـــن قبـــل رؤيـــاي وجهـــاً | مـــن شمـــوس النهـــار أبهـــى وأعظـــم
جـــــاهليَّ الهـــــوى فلمـــــا دعـــــاه | مرســـــل الصـــــدغ للصـــــبابة اســـــلم
فانـــــا اليـــــوم للغـــــرام مـــــدين | طـــــائع مـــــن ولاتـــــه مـــــن تحكـــــم
أعلـــــي سمعـــــاً وان كنـــــت أدري | رب مصـــــغ لقائـــــل وهـــــو أعلـــــم
جمعتنـــــا (بالجـــــامعين) ليـــــال | لـــــيس إلا الصـــــباح مـــــنهنّ يـــــذمم
نولتنـــــا مـــــن الســـــرور عظيمـــــا | وســـــرور العـــــلا لاجلـــــك أعظـــــم

---

١ - هو صدر بيت لابي نؤاس من أبيات في مدح أهل البيت (ع) وتمامه: (تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا).

يـــوم نلـــت المـــنى فهنّيـــت فيـــك المجـــد علمـــا بانـــه لـــك تـــوأم
يـــوم ابـــدى لـــك الزمـــان ســـروراً فمحونـــا مـــن فعلـــه مـــا تقـــدم
واذا مـــا الكـــريم جـــاء بعـــذر فالـــذي منـــه يقبـــل العـــذر أكـــرم
يـــوم ماســـت تيهـــا حســـان المعـــالي بـــك والمجـــد ثغـــره قـــد تبســـم
فكـــأن الزمـــان عـــاد شـــباباً بعـــد مـــا شـــاب في الســـنين واهـــرم
يـــوم حـــلَّ الســـرور قلـــب كـــريم طـــال مـــا ســـرَّ في البريـــة معـــدم
فمـــن الســـحب والجبـــال تـــراه في النـــدى والخطـــوب أســـخى وأحلـــم
لم تجـــاوز ســـنوه عشـــرين لكـــن هـــو رأيـــاً مـــن ابـــن ســـتين أحـــزم
يافعـــا يخـــبر المشـــائخ عمـــا هـــو مـــاض مـــن قبـــل عـــاد وجـــرهم

وقال مقرضاً كتاباً ألّفه العلاّمة السيد مهدي القزويني في النحو والعربية:

خـــذ مِـــنَ العلـــمِ مـــوجزاً غـــيرَ مطنـــب عـــن فنـــونِ الألحـــانِ في النحـــو معـــرب
فـــبهِ قـــد حـــباهُ مَـــنْ قـــد حبـــا في فـــضلهِ قـــبلَ ذا نـــزاراً ويعـــرب
ذو الـــيراعِ الـــذي يـــراع لـــديه قـــلبٌ مـــن عـــن عـــلاهُ قـــد ظـــلّ يرغـــب
قـــلمٌ صـــكَّ لـــوحهُ جـــبهةَ الـــدهر فـــهم يقـــرؤون مـــا كـــانَ يكتـــب
عـــلمهُ عـــن أبـــيهِ عـــن جـــدّهِ عـــن حـــاملِ الـــوحي جبرئيـــلَ عـــن الـــرب
مـــا (الـــكسائي) مـــا (ســـيبويه) فهـــذا نـــجلُ أهـــلِ الكســـا وســـيفٌ مجـــرّب
لـــو تـــرائى لـــسيبويه تـــعجب وبـــنصفِ اسمـــه مضـــى وهـــو ينـــدب

وقال مهنئاً العلامة السيد مهدي القزويني بسلامته بعد وقوعه من السطح[1]:

سـر يومـاً شـانيك واغـتم دهـرا ... رب حلـو لطـاعم عـاد مـرّا
كاشـح سـر لعقـة الكلـب انفـاً ... ثم في غمّـه القـديم استمرا
ضـحك الـدهر منـه إذ طـال تيهـا ... بسـرور كصـحوة المـوت عمـرا
يـا أبـا جعفـر ومـن قـد رمتـه ... أعـين الحاسـدين في الفضـل شـزرا
لا أقـرَّ الالـه أعـين قـومٍ ... نظـرتكم مـزوَّرة لـن تقـرّا
ان عـذر الزمـان منـك صـريح ... والجـواد الكـريم يقبـل عـذرا
رام يلهـو بلحيـة الخصـم هونـاً ... فـاراه حلـواً واسـقاه مـرّا
فتـولى والخـزي يغشـاه جهـراً ... ضعف مـا قـد غشـا بصـفين (عمـروا)
لم يـزلاّ نعـلاك عنـك لهـون ... لا ولا أنـت قـد تشـاغلت فكـرا
بـل بـدا مـن عـلاك للخلـق مـا لم ... تحـض منـه عقولهـا العشـر عشـرا
ولكـم قـد احطـت في علـم غيـب ... غـيركم لم يحـط بـه قـط خـبرا
فخشـيت الاسـلام فيـك يقولـون ... كمـا قالـت المغـالون كفـرا
وتصـوبت قيـد رمـح فحلـت ... لـك مـن ذا في قـاب قوسـين ذكـرا
فلـذا كـل مـن علـى الارض ضـجّت ... وضـجيج السـماء أعظـم أمـرا
لـو أطاقـت ام السـماء لضـمتك ... اليهـا حرصـاً عليـك وبـرا

---

١ - وللسيد حيدر الحلي قصيدة عصماء في هذه الحادثة بديوانه مطلعها:

عثـر الـدهر واسـتقال سـريعاً ... رب عبـد عصـى وعـاد مطيعـا

ولاحنـــت عليـــك كـــالام شـــوقاً وانعطافـــاً وشـــرفت بـــك حجـــرا
ووقتـــك الوصـــول لـــلارض رفقـــاً بـــك كـــي لا تنـــال مـــن ذاك ضـــرا
ولكانـــت ذكاؤهـــا لـــك فرشـــاً ووســـاداً مـــن النجـــوم البـــدرا
قـــد حكيـــت الصـــديق يوســـف لمـــا ان هـــوى في غيابـــة الجـــب صـــبرا
بـــل رأيـــت النـــار الـــتي قـــد رآهـــا صـــاحب الطـــور يـــوم قـــد خـــر ذعـــرا
ولعمـــري حكيتـــه غـــير لا أدري اذعـــراً هويـــت ام كـــان شـــكرا
ام عـــرا ذكـــر كـــربلا منـــك قلبـــاً حـــين قاربـــت للمحـــرم شـــهرا
ان متنـــاً شـــكوته طـــال مـــا زا حمـــت فيـــه مـــن الملائـــك غـــرا
قبلـــت كفـــه الملـــوك ونالـــت مـــن نـــداها العـــافون بيضـــا وصـــفرا
فهـــي طـــوراً غـــنى المقـــل وطـــوراً تغتـــدي للغـــني عـــزاً وفخـــرا
وبنـــوك الكـــرام أطيـــب ولـــد نجبـــاء الابـــاء بطنـــا وظهـــرا
بلغـــوا غايـــة العـــلا حيـــث كـــلُّ راح يقفـــو في ســـيره لـــك أثـــرا
والـــذي يهتـــدي بمهـــدي عصـــر لـــيس يخشـــى عـــن قصـــده الحـــور فـــترا
حملـــوا عبـــأ كـــل مجـــد اثيـــل مثلمـــا تحمـــل القـــوادم نســـرا
كيـــف لا يهتـــدي مضـــل رآهـــم وهـــم آيـــة الى الحـــق كـــبرى
يـــا بـــني الـــوحي قـــد زففـــت الـــيكم مـــن بنـــات الافكـــار غـــراء بكـــرا
لم اسمهـــا علـــى ســـواكم علـــوا ولـــو اني قـــد كـــان لي البـــدر صـــهرا
إنمـــا الشـــعر مـــا هـــو المـــدح فـــيكم وهـــو في مـــدح غـــيركم راح هجـــرا

مـدحكم في جميـع قسـم مـن القـول لقـــد ســـار في البريـــة ذكـــرا
فهـــو وحـــي اتـــى وجـــاء حـــديثاً وبـــدا خطبتـــه ونظمـــاً ونثـــرا

وقال مهنئاً السيد مهدي القزويني واولاده الكرام بقدوم السيد عباس السيد حساني المعروف بالعميدي من الحج[1].

طلـب العـلاء فـال فـوق المطلـب في عـــزم غـــلاب وهمـــة أغلـــب
وسمـــا بمـــا أوفـــت لـــه آبـــاؤه ولـــرب ســـام للعـــلاء بـــلا أب
لا غـرو ان طلـب العـلا مـن قومـه امـــا نـــبيّ أو وصـــيّ عـــن نـــبيّ
هـذا أبـو الفضـل الـذي جمـع النهـى عـزم الشـباب لـه ونسـك الاشـيب
تاقـــت الى نيـــل العـــلا حوبـــاؤه في اللّـــه لم يحـــتج لقـــول مرغـــب[2]
ولكـــم تعرضـــت العـــواذل دونـــه فانصـــاع لم يحفـــل بلـــوم مؤنـــب
سـلك البحـار وهـن جـود أكفـه والـبرّ يقطعـه بصـدر أرحـب
فجبـال هـذا مـن رصـانة حلمـه وعبـاب هـذي مـن نـداه المخصـب
وأرى المراكـب في البحـار محلهـا وأراه بحـراً حاصـلا في مركـب
فاعجـب لـه بحـراً يحـل بمركـب إذ لـيس يغمـره بمـوج مرهـب

---

١ - العميدي نسبة الى السيد عميد الدين ابن اخت العلامة الحلي وكان من ذوي الورع والصلاح والوجاهة في الحلة ويتعاطى التجارة في بيع البز والمنسوجات وتوفي سنة ١٣١٧ هـ بعد ما عمر طويلا.

٢ - الحوباء: النفس.

١ - السبسب: المفازة والارض المستوية البعيدة.

واعجب لفلك قد طغى وبضمنه ... من حلمه جبل ولما يرسب
لكنما فيه استطار مسرة ... فطفت له في الماء خفة مطرب
ولو ان ناراً قد سرت فيه خبت ... لمضى يزج بعزمه المتلهب
حتى اذا اجتاز القفار ومزقت ... أيدي المطي به أديم السبسب[1]
نشقت به البطحاء أطيب نكهة ... من طيّب ورث العلا من طيب
ما زال يدنو وهي تعلو رفعة ... حتى استقلت فوق هام الكوكب
ورأت شمائل هاشمي لم تكن ... أبداً قرابته تناط بأجنبي
عقد الازار فحل ما بين الرجا ... والخوف عقدة أدمع لم تنضب
فكأن كل الارض كانت عنده ... حرماً وكل الدهر يوم ترهب
ما زاده الاحرام إلا مثلما ... قد زاد ضوء الشمس نور الكوكب
ولكاد يشرق في يديه بهجة ... حجر أحالته أكف المذنب
وبزمزم لو كان يخلط ريقه ... لاتت من الماء الفرات بأعذب
عرفت به (عرفات) حين وقوفه ... دعوات آباه التي لم تحجب
وتوسمت منه محاني طيبة ... عنوان والده النبي الاطيب
حتى إذا ما جاء مرقد جده ... ودعاه عند سلامه في (يا أبي)
أخذ الفخار على البريّة كلها ... إلا نوادر من بهذا المنسب
قد كان يسمع من جوانب قبره ... صوتاً بأهل يلتقيه ومرحب

---

١ - السبسب: المفازة والارض المستوية البعيدة.

فكأنمـــا هـــو قـــد رآه مشـــافهاً وكأنـــه في القـــبر لم يتحجـــب
ومضـــى الى نحـــو البقيـــع مســـلماً في مـــدمع هـــام وقلـــب ملهـــب
متـــــذكراً آبـــــاءه الغـــــر الأُلى فـــيهم نجـــاة الخـــائف المترقـــب
ولقـــد شـــجاه ان رأى أجـــداثهم عـــن جـــدهم بعـــدت ولمـــا تقـــرب
يـــا مـــن لـــه صـــدق النـــوى بايابـــه ولـــرب موعـــد غـــادر لم يكـــذب
ضـــاق العـــراق وقـــد مضـــيت بأهلـــه كمضـــيق وجـــه الفـــارس المتنقـــب
حـــتى إذا أقبلـــت أســـفر ضـــاحكا ببكـــاء غيـــث للبريّـــة معشـــب
فكأنمـــا بعـــث الالـــه بـــه لنـــا قبـــل البشـــير مبشـــراً لم يحجـــب
حـــتى تيقنـــت الـــورى إذ ســـرهم فيـــك البشـــارة كنـــت جـــد مســـبب
عـــمّ الســـرور بـــك البريّـــة كلهـــا بـــل خـــص قلـــب (أبي الحسـين) الانجـــب
علامـــة العلمـــاء أفضـــل مـــن غـــدا في الشـــرق يهتـــف باســـمه والمغـــرب
هـــو حجـــة اللّـــه العظـــيم فمـــن عشـــا عنـــه تخـــبط للضـــلال بغيهـــب
مـــن فضـــل كالشـــمس قـــد مـــلا الفضـــا نـــوراً وفضـــل ســـواه عنقـــا مغـــرب[1]

---

١ - عنقاء مغرب تقال على الوصف والاضافة هو من قولهم أغرب في البلاد وغرب اذا أبعد وذهب وعنقاء اسم للذكر والانثى فلهذا لم يقولوا مغربة فمن وصف فعلى الاتباع ومن أضاف فهو من باب الاضافة الى النعت والاكثر على الاتباع قال الكميت:

محاســـن مـــن ديـــن ودنيـــا كأنمـــا بـــه حلقـــت بـــالامس عنقـــاء مغـــرب

وقال المتنبي:

أحـــن الى أهلـــي وأهـــوى لقـــاءهم وايـــن مـــن المشـــتاق عنقـــاء مغـــرب

=

وأرى العـــــلاء إذا ارتـــــداه غـــــيره ثـــوب الحريـــر يلـــف جلـــد الاجـــرب
انظـر اليـه تجـد بـه مـن شـئت مـن آبائـــه خلقـــاً وخلـــق مهـــذب
هـــو حـــوّل هـــو قلّـــب هـــو مظهـــر للملـــــة الغـــــرا وســـــر المـــــذهب
فيـــــه وفي آبائـــــه عصـــــم الـــــورى مـــن كـــل خطـــب في البريـــة أخطـــب
مهـــلا أبـــا الفضـــل المحلـــق للعـــلا فلقـــد رميـــت الواصـــفين بمتعـــب
مـــا ان عجبـــت لمـــا أتيـــت مـــن العـــلا إلا ســـــبقت وجئتنـــــا في أعجـــــب
مهمـــا أقـــل مـــا كـــان إلا مثلمـــا قـــد قلـــت ان الشـــمس أحســـن كوكـــب
فاليكهـــا عـــــن فكـــــرتي عربيـــــة ضـــــربت بهـــا أعراقهـــا في يعـــــرب
فلكـــم أبـــت نشـــزاً علـــى مـــن رامهـــا خطـــب النكـــاح لهـــا ومـــن لم يخطـــب
لكنهـــــا زفـــــت اليـــــك ومهرهـــــا منـــك القبـــول وذاك أعظـــم مـــأرب

=

ومن امثالهم في كل من فقد طارت به عنقاء مغرب ويعتقد أنها كانت طائراً عظيما اختطفت سبياً وجارية وطارت بهما فدعا عليها نبي ذلك الزمان حنظلة بن صفوان فغابت الى اليوم.

وله يصف احتفالاً أُقيم في دار السيد أحمد الرشتي بكربلاء ليلة النصف من شعبان بمناسبة ميلاد الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وذلك سنة ١٢٨٢ هـ:

وبـــيتٌ شـــادَ أهـــلُ البيـــتِ منـــه ... بـــناءً فـــي ذرى العليـــا رفيعـــا
بـــليلةِ نـــصفِ شـــعبانَ رأينـــا ... عـــديدَ الـــنيراتِ بـــهِ شموعـــا
ومَـــنْ لـــلنيّراتِ بحيـــث تلقـــى ... لـــها مـــا بـــينَ مركزهـــا طلوعـــا
ويـــنهلُ داخـــليهِ بـــعينِ مـــاء ... يـــعودُ حشـــا اللهيـــفِ بـــهِ مريعـــا
وهـــبكَ شـــققتَ نهـــراً مـــن معـــين ... عـــليهِ الـــناسُ واردةٌ جموعـــا
نشـــدتكَ هـــل لـــديكَ جبـــالُ حـــزوى ... اســـتحالتْ ســـكراً فيـــهِ جميعـــا
إذا مـــا قـــالَ ذا ســـرفٍ أُنـــاس ... رآهُ أحمـــدَ شـــرفاً وســـيعا
يـــرى الـــدنيا ومـــا فيهـــا جميعـــا ... عـــطيةَ مَـــنْ غـــدا فيهـــا قنوعـــا
يضـــيعُ المـــالُ في حفـــظِ المعـــالي ... ومـــا حفـــظَ المعـــالي لـــن يضـــيعا
فوالـــبيتِ الـــذي شـــرفاً وعـــزّاً ... بـــهِ الأمـــلاكُ قـــد هبطـــت خشـــوعا
بـــناهُ الـــكاظمُ الحـــبرُ الـــذي قـــد ... حـــوى أســـرارَ والـــدهِ جميعـــا
أخـــو علـــمٍ لـــو أنّ الخضـــرَ أضـــحى ... لـــديهِ صـــاحباً لـــن يســـتطيعا
هـــو الـــداعي إلـــيهِ باحتجـــاج ... فـــلم يـــدركْ لـــدعوتهِ سميعـــا
(فـــلم أرَ مـــثلَ ذاك اليـــوم يومـــاً ... ولـــم أرَ مـــثلهُ حـــقّاً أُضـــيعا)
وتـــابعَ إثـــرهُ شـــبلاً عـــرين ... بـــعرعرةِ الـــعلا أضـــحى منيعـــا
فـــمن حـــسنٍ وأحمـــدَ كـــلّ فعـــل ... لـــنا نـــورُ الـــنبيّ بـــدا لموعـــا
هـــداةٌ يـــنتمونَ إلـــى هـــداة ... زكـــتْ أعـــراقهم وزكـــوا فروعـــا

وقال مرتجلاً يصف تلك الدار المذكورة حين دخلها ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٨٤ هـ.

أتــكثرُ فــي الأبصــارِ هــذي الثواقــب ... وتــعظمُ لــلورادِ هــذي الــمشاربُ
بــبيتِ ابــنِ مَــنْ قــامَ الوجــودُ بسـرّهم ... فــمن جــودِهمْ أنــهارهُ والــكواكبُ
ولــو هــبطت وهــو الصــعود لبيــتهم ... ذكــاءٌ ومــا مــنها الأشــعةُ كاســبُ
وســالت مــن الأنــهارِ مــا قــد أعــدّه ... إلــهُ الــورى لــلمتقينَ الأطــائبُ
لمــا كــانَ ذا إلاّ الــقليلُ بــحقّهم ... ومــا كــان إلاّ بعــض مــا هــو واجــبُ
بــكاظمهم غــيظاً سمــا (حسـن) العــلا ... (وأحــمدهم) فــعلاً تــنالُ الرغائــبُ
فــتى لا يــرى للمــالِ قــدراً ولم يطــع ... عــتاباً عــلى بــذلٍ وإن لجّ عاتــبُ
كــأنّ الــذي يــعطيهِ بــاقٍ بــكفّه ... وأنّ الــذي يــبقى وإنْ قــلَّ ذاهــبُ
فتــى لا يــبالي إنْ تــفرّقَ مــاله ... وقــد جُــمعت فــيهِ لــديهِ المناقــبُ
ومــن عــجبٍ أنّي يُــلام علــى النــدى ... فــتى قــد نــمتهُ الأكرمــونَ الأطائــبُ
إذا كــانتِ الأبــناء فــيها شــمائل ... لآبائــها فالأمــهاتُ نجــائبُ
ولــما رأى الأعــرابُ تعلــي بيوتهــا ... وتــطلبُ فــخراً وهــو نِعْــمَ المطالــبُ
بــنى بــيتَ شــعرٍ فيــهِ يجتمــعُ النهــى ... وتــفخرُ أمــلاكُ الســما لا الأعــاربُ
إذا قــلتهُ جــونُ الــسحابِ يقــولُ لي ... صــه أيــنَ مــنّي في المنــالِ الســحائبُ
إذا انــعقدت أبــدت علــى النــاسِ غيهبــاً ... وإنّــي الــذي تنجــابُ عنــهُ الغياهــبُ

كـــأنّ عـــمادي ســـوقُ دوحٍ ثـــماره وأوراقـــهُ شـــهبُ الـــسماءِ الثواقـــبُ
فهـــــنّ رجـــــومٌ لـــــلعدا وهـــــداية لـــطلابِ نـــهجِ الحـــقِّ والحـــقُّ لاحـــبُ
وإنْ أنـــسَ لا أنـــسَ الهمـــامَ أخـــا النهـــى فـــتى كـــنهُهُ عـــن طـــائرِ الفكـــرِ عـــازبُ
لـــهُ أســـوةٌ فـــي كـــلّ داعٍ إلى الهـــدى وإن قـــيلَ في الـــدعوى وحاشـــاهُ كـــاذبُ
عـــليهِ ســـلامُ الـــلّهِ مـــا ذكـــرَ اسمـــه ووافـــاهُ فـــي أســـماءِ آبـــاهِ خاطـــبُ
ومـــا أشـــرقت شمـــسُ النهـــارِ بمشـــرق ومـــا حـــازها عنـــدَ المســـاءِ المغـــاربُ

وقال يصف تلك الدار في الليلة المذكورة وقد احتفل فيها بميلاد أحد سلاطين آل عثمان سنة ١٢٨٦ هـ

أضاءت ولا مثل النجوم الثواقب ... مصابيح بيت من بيوتات غالب
مصابيح كانت للمحب هداية ... ولكن رجوماً للعدو المجانب
ترى ضوءها أهل السماء كما ترى ... لدى الافق أهل الارض نور الكواكب
ولو أنها في الافق كانت لما غشى ... جوانبه في الدهر لون الغياهب
ولم يفتقر أفق السماء لكوكب ... سواها وقد أغنته عن كل ثاقب
ولاحت ولا كالشمس تحت غمامة ... (بدا حاجب منها وضنت بحاجب)
ولكنها لاحت كنار قراهم ... تحيي البرايا من جميع الجوانب
يؤججها وهاجة في سما العلا ... فتى قد نمته الصيد من آل غالب
أخو الهمة العلياء أحمد من غدا ... لاحمد ينمى أصله في المناسب
ويترع عذباً خاله الناس كوثراً ... به فاز من قبل الظما كل شارب
لدى ليلة لو مثلها كل ليلة ... أمنَّ الليالي موبقات النوائب
سمت وتعالت رفعة بمسرة ... لمولى سما بالملك أعلى المراتب
يؤدي لها ما كان فرضاً ومثله ... فتى ليس يلهو قط عن كل واجب
يعظم في الدنيا شعائر دولة ... معظمة في شرقها والمغارب

يواســـي مليكـــا بالمســـرة طالمـــا يواســـي رعايـــاه بجـــمّ الرغائـــب
تقاسمـــه النـــاس المســـرات مثلمـــا تقاسمـــه أموالـــه في المواهـــب
مليـــك لـــه دان الملـــوك فأصـــبحت وهـــم بـــين راجـــي النيـــل منـــه وراغـــب
أقـــول وقـــد أهـــديتها بدويـــة تتيـــه علـــى مـــن في بيـــوت الاعـــارب
أبـــت كفؤهـــا إلا ذوابـــة هاشـــم وفاقـــت علـــواً عـــن جميـــع الـــذوائب

المراثى

قال يرثي الشهداء الذين قتلوا في وقعة نجيب باشا في كربلاء، ويتذمّر من الحكم التركي في ذلك العهد (١٢٥٨ هـ)[1]، ويندب الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

أحلماً وديـنُ الـلّهِ أوشـكَ يُـتلف ... وصـبراً وداعـي الشـركِ يـدعو ويهتـفُ
وحتـى مـتى سـيفُ الإلـهِ مُـعَلّلٌ ... بضـربِ طـلا أعـدائهِ ومـسوَّفُ
هـو الـسيفُ مـا لم يـألفِ الغمـدَ نصـله ... ومـا الـسيفُ سـيفٌ وهـو للغمـدِ يـألفُ
أمـا آن أن تُـحيي الـهدى بـعد موتـه ... بـيومٍ يـميت الـشمسَ نـقعاً ويكسـفُ

---

١ - وسبب هذه الحادثة أنّ جماعة من أهالي كربلاء يُقال لهم: (اليرمازية) شقّوا عصا الطاعة، وامتنعوا عن الخضوع ودفع الضرائب للحكومة، وذلك في عهد السلطان عبد المجيد خان؛ فزحف عليهم والي بغداد المشير محمد نجيب باشا بجيش جرّار بقيادة سعد اللّه باشا، فطلب منهم الوالي نزع السلاح والتسليم فأبوا ذلك، فوجّه المدافع على سور المدينة حتى أحدثت القنابل (ثغرة) في السور وذلك من جهة محلّة (باب الخان)، واستمر القتال لمدّة يومين، ونصحهم جماعة من رؤساء كربلاء وساداتها على أن يتركوا الاستمرار في التمرّد والعصيان فلم يحفلوا بتلك النصائح.

وفي اليوم الثالث خرج المحاربون من أهل المدينة إلى خارج البلد، واستنجدوا بجماعة من عشائر آل فتلة وآل يسار، فكان عددهم (ثلاثة آلاف) محارب، فاصطدم الجيش بالأهلين ثانية ودامت الحرب (٢١) يوماً، وانتهت يوم عيد الأضحى، وقد بلغ عدد القتلى (١٨) ألف قتيل أكثرهم من الزائرين والأبرياء المجاورين، وتاريخ هذه الحادثة جملة (غدير دم) سنة ١٢٥٨، ودخل جيشه الصحن العباسي وقتل كلّ مَنْ لاذ بالمرقد، وارتكبوا كثيراً من الموبقات والجرائم التي يخجل منها جبين الإنسانية، وتمكّنوا بعد ذلك من الاستيلاء على كربلاء.

وقد ذكر هذه الحادثة جمع من المؤرّخين، وأكثرهم إلماماً بها السيد حسّون البراقي في كتابه تاريخ كربلاء المخطوط والموجود في مكتبتنا.

وشـــعواء فـــيها الـــدهرُ يـــرجفُ خيفـــة ويـــنسدُ مـــنها الأفـــقُ والأرضُ ترجـــفُ
ويعـــقدُ فـــيها الـــنقعُ غـــيماً مـــظلّلا وتـــرعدُ فـــيها الأســـدُ والبـــيضُ تنطـــفُ
كتـــائبُ يـــنطحنُ الـــخميسُ كـــباشها ولا روقَ إلاّ ذابـــــــلٌ ومثقـــــــفُ
إذا نـــزلت أرضَ الـــعدو طـــمت بـــها بـــحارَ دمٍ فـــعمّ عـــلى الـــنجمِ تشـــرفُ
تـــزاحمُ بـــرجُ الـــحوتِ حـــتى يعومهـــا وتـــدنو مـــن الـــكفِّ الخضـــيبِ فتغـــرفُ
وإن فـــغرت لـــلحربِ فـــاغرةُ الـــردى رمـــوها بـــما فـــيهِ تـــغضُّ وتـــقذفُ
فـــلا عـــيبَ فـــيهم غـــيرَ مطـــلِ عـــدوّهم إذا اســـتقرضوا مـــنهُ الـــدما وتـــسلّفوا
وأوفى عبـــــادُ اللّـــــهِ إلاّ بـــــحالة إذا وعـــدوا الـــبيضَ الـــغمودَ فلـــم يفـــوا
يمـــــيلونَ شوقـــــاً للـــــوغى فـــــكأنّما كـــؤوسُ الـــردى صـــرفَ المدامـــةِ قرقـــفُ
إذا مـــا احـــتفت يـــومَ الـــهياجِ جيـــادُهم نـــعلن مـــن الـــهاماتِ مـــا البـــيضُ تنقـــفُ
أبـــا الـــقاسم الـــمهديّ لا عـــزَّ أو تـــرى لـــكَ الـــكتبَ تُـــتلى والـــكتائبَ تزحـــفُ
فقـــم طـــالباً حـــقَّ الـــخلافةِ مـــعلماً فهـــاهي فـــي أيـــدي الـــعدو تـــلّقفُ
أتصـــــدرُ وراداً لكـــــم عـــــن ركـــــيّها مُحـــــلاةً والقـــــومُ منـــــهنَّ تـــــنزفُ
وتوحـــشُ هاتـــيكَ الـــمنابرُ مـــنكم وتنـــزو عـــليهنَّ الـــقرودُ وتـــشرفُ
أمـــا هـــاشمٌ قـــدماً أذلّـــوا صـــعابها فمـــا بـــالها تـــيمٌ رقـــوها وأردفـــوا
وهـــذا لـــواءُ الـــمسلمينَ بـــرغمهم عـــلى رأسِ أشـــقى الـــعالمينَ يرفـــرفُ
إذا أومـــضَ الـــبرقُ الحجـــازي في الـــدجى كـــعرنينِ قـــنٍّ مـــن بـــني الـــزنجِ يرعـــفُ
شـــخصنا إلـــيهِ مـــثلما شـــخصت إلى الحـــمائمِ أفـــراخٌ لهـــا تـــتشوّفُ

رجـاءً إلـى الـسيفِ الـذي في وميضـه ... عـن الـخلقِ طـراً ظلمـةُ الجـورِ تكشـفُ
حـسامٌ إذا مـا واكـلَ المـوتَ في الـوغى ... مـضى بفـمٍ أضـحى على الموتِ يجحـفُ
وإن وردَ الأعنـــاقَ يومـــاً حـــكينه ... مـن الـهيمِ بعـدَ الخمسِ عطشى تَلَهّـفُ
عـلى سـابقٍ لـو رامـتِ الـريحُ سـبقه ... لعـــادت إليـــهِ ظالـــعاً تـــتقحّفُ
دعـــوتكَ والأبـــصارُ شـــاخصةً إلـــى ... وميـــضِ حـــسامٍ لـــلنواظرِ يـــخطفُ
دعوتـــكَ لـــلتوحيدِ قـــد غـــالَ أهـــله ... أُنـاسٌ عـلى الأوثـانِ تـحنو وتعكـفُ
دعـوتكَ لـلدينِ الـحنيفِ فـقد غـدا ... ضـئيلاً عـليهِ الشـركُ يقـوى فيضـعفُ
دعوتـــكَ للـــقرآنِ راحَ ممـــثّلاً ... بأيـــدي أُنـــاسٍ غـــيّروهُ وحـــرّفوا
دعوتـــكَ لـــلشرعِ الـــشريفِ مـــغيّراً ... بـــما قـــعدوا أهـــلُ الـــضلالِ ووظفـــوا
دعـــوتكَ لـــلمظلومِ ضـــاعت حـــقوقه ... ولـيسَ لـهُ مـن عصـبةِ الجـورِ منصـفُ
إليـــكَ وليّ الـــلّهِ بـــثُّ شـــكاية ... تُـــهدُّ لـــها الأطـــوادُ والأرضُ تُخســـفُ
أترضـــى وأنـــتَ الـــمستجارُ بـــأنّنا ... بـــأيدي الـــعدا مـــن أرضـــنا نتخطّـــفُ
ومـــا ألـــفت أكـــبادنا حُـــبَّ غـــيركم ... فكـــيفَ إلى أعدائـــكم نـــتألّفُ
وأنَّـــى وأهـــلُ الـــدينِ تصـــحبُ عصـــبة ... سوى الجبتِ ديناً في الورى ليسَ تعرفُ
وكـــيفَ نـــغادي أو نـــراوحُ مـــعشراً ... يـــميلُ بـــنا عـــنهم ولاكـــم ويـــصرفُ
إذا أنـــتَ بـــالإغضاءِ عـــاملتَ كاشـــحاً ... فمَـــنْ ذا عـــلى أشـــياعكم يـــتعطّفُ
ومَـــنْ يـــكشفُ الـــغماءَ عـــن متلهّـــف ... أضـــرَّ بأحـــشاهُ إليـــكَ الـــتلهّفُ
ومَـــنْ ذا إذا مـــا صـــرَّحَ الـــدهرُ خطبـــهُ ... بمـــنعتهِ يـــحمى الـــطريدُ الـــمخوِّفُ

وأيسُرُ ما يشجيكَ أنّ مجاوري ضريحَ أبيكَ السبطَ عن قبرهِ نفوا
يعدّونَ قيدَ الرمحِ عنهُ مسافة فكيفَ بهم والبعدُ وعرٌ ونفنفُ
ومَنْ لم تطق حملَ الرداءِ متونه فكيفَ بحملِ الراسياتِ يكلّفُ
فما آدمُ في يومٍ راحَ مفارقُ الـ ـجنانِ بدمعٍ يستهلُّ ويذرفُ
بأغزرَ دمعاً منهمُ يومَ فارقوا ذرى حرمٍ بابن النبي يشرفُ
فآهٍ لأرضِ الطفِّ في كلّ برهة يجدّدُ فيها حادثٌ لا يكيّفُ
أهل بعدها جرُّ الخطوبِ أم أنّها بأكنافها تلكَ الحوادثُ عكّفُ
وإنّ نساءَ المؤمنينَ ذواعر تُراعُ كما ريعَ الحمامُ المغدفُ[1]
يلاحظها رجسٌ ويقرفُ عرضها غبيّ بأصنافِ اللعائن يقرفُ[2]
أيامى ولم يثكلنَ بعلاً وحولها يتامى وأباهُ لهم ليسَ تحتفُ
وأعظمُ مفقودٍ من الناسِ آخذ عن الأهلِ نأياً حالهُ ليسَ يعرفُ
لئن ضربَ الأمثالَ في فقدَ يوسف وما نالَ من يعقوبَ فيهِ التأسفُ
فها نحنُ في جيلٍ بهِ كلّ والد من الناسِ يعقوبٌ ينائيهِ يوسفُ
فهذا ولم تهتك حجابَ تصبر عليكَ بإمهالِ العدو يسجفُ
ولم تنتضِ السيفَ الذي حدّهُ على رقابِ العدا من شفرةِ الموتِ أرهفُ

---

١ - المغدف: ذو الجناح الأسود.

٢ - يقرف: قرفه اتّهمه بشيء، ولعلّ الأصل يقذف وهو مأخوذ من قذف المحصنة إذا رماها بالزنا.

أيــملكُ أمــرَ الــعربِ مَــنْ لا أبــاً لــه ... ولم يـــنمهِ مـــنهم نـــزارٌ وخـــندفُ
لئــيمٌ فــما لــلصفحِ عــند اقــتداره ... مــحلٌ ومــا لــلحلمِ إن هــاجَ مــوقفُ
أحــبُّ الــورى مَــنْ لــيسَ يحنــو علــيهم ... لديـــهِ وأعداهـــم لـــهُ الـــمتلطّفُ
ومَــنْ لــقطتهُ الــعاهراتُ مــن الخنــا ... فكــيفَ بأبــناءِ الــعفائفِ يــلطفُ
ومــا لــبني الآمــالِ إلاّ ابــنُ حــرّة ... يغــارُ عــليهم أن يُــضاموا ويــأنفُ
وإنّــا لنــدري أنّ يومــك كــائن ... وإن حــالَ فــيهِ عــن ســواهُ التخلّــفُ
ولكنّــنا لا نســتطيعُ تصــبّراً ... لطــولِ أنــاةٍ مــنك لــلقلبِ تــحتفُ
وأيــنَ الــجبالُ الــراسياتِ رزانــة ... مــن الــذرِّ فــوقَ الأرضِ والــريحُ تعصــفُ
أقــولُ لــنفسي عــندما ضــاقَ رحبهــا ... وكــادتْ عــلى ســبلِ المهالــكِ تشــرفُ
وكــادت مــمضاتُ الــزمانِ تميــلُ بي ... إلــى هــلعٍ يــلقى لــهُ الــحلمُ أحنــفُ
رويــداً كــأنّي بــالأماني صــدقني ... بــإنجازِ وعــدٍ لــلهدى لــيسَ يُــخلفُ
إلــيكَ ابــنُ طــه بــنتُ فــكرٍ زففتهــا ... تتــيهُ علــى أتــرابها وتــغطرفُ
تجــرُّ ذيــولاً مــن بــرودِ شــكاية ... تــطرّزُ فــي حــسنِ الــرجا وتــفوّفُ

وقال يرثي شيخ الطائفة في عصره الشيخ مرتضى الأنصاري[1] المتوفّى سنة ١٢٨١ هـ، ويعزّي بها العلاّمة السيد مهدي القزويني:

عـــتبتُ عـــليهِ لـــو يـــرق لـــعاتب ... ونـــاشدتهُ لـــو كـــانَ يـــوماً مجـــاوبي
وأطـــنبُ فـــي الـــشكوى إليـــه لـــو أنّـــه ... ســـميعٌ لـــشكوى واجـــدُ القلـــبِ لاهـــبُ
أفي كـــــلِّ يـــــومٍ لـــــلمنيّةِ غـــــارة ... تـــعودُ بـــها الأرواحُ طـــعمةَ ناهـــبِ
هـــو المـــوتُ مـــن حيـــثُ التفـــتَ وجدتـــه ... عـــلى كـــلِّ حـــي كـــانَ ضـــربةَ لازبِ
فـــلا ردّ عـــن (إسـكندر) مـــا افتـــدى بـــه ... ولا ســـدّ عـــنه الـــسدُّ ثغـــرَ النوائـــبِ
ولا مـــــالتِ الأمـــــوالُ عـــــنهُ بـــــحتفه ... ولـــم يـــمحَ مكتـــوبٌ قضـــى بالكتائـــبِ
ولا مـــثلُ يـــومَ (المرتضـــى) يـــومُ نكبـــة ... أبـــانت بـــأنّ الـــلّهَ أغـــلبُ غـــالبِ
وراءكَ مـــــن نـــــاعٍ كـــــأنّكَ لـــــلورى ... مـــن الـــنفخةِ الأولـــى أتيـــتَ بعاطـــبِ
أوانـــــــكَ إدراكُ الأنـــــــامِ سلـــــــبته ... فـــلم يـــفرقوا مـــا بـــينَ أنـــفٍ وحاجـــبِ
يـــخبرُ أنّ الـــدينَ قـــد أزمـــعَ النـــوى ... وكـــانَ مـــن الترحـــالِ مـــن فـــوقِ غـــاربي

---

١ - الشيخ مرتضى بن محمد أمين الأنصاري ينتهي نسبه إلى جابر بن عبد اللّه بن حزام الصحابي المشهور، انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره، وسلّم الجميع بفضله وجلالة شأنه، وورعه وتقواه، ونفاسة كتبه، ومن أشهرها (الرسائل في الأصول)، و (المكاسب) وغيرها، وتخرّج على يده عشرات من المجتهدين، أشهرهم الإمام الميرزا محمد حسن الشيرازي المتوفّى سنة ١٣١٢ هـ، وكان مولد الشيخ الأنصاري سنة ١٢١٤ هأ في بلد دسبول من أعمال (تستر) في فارس، وتوفّي ليلة السبت ١٨ ج ٢ سنة ١٢٨١ هـ، ودُفن في الحجرة الواقعة عن يسار الداخل إلى الصحن الحيدري من باب القبلة.

لـكَ الـلّهُ مـن نـدبٍ إلى اللّـهِ ضـاعن ... ولـلدينِ والـدنيا صـراخُ النـوادبِ
إذا صـرخت أقصـى المشـارقَ ثاكـل ... تـجاوبها ثـكلى بـأقصى المغـاربِ
مـتى تـلدُ الـدنيا نـظيركَ مـالكاً ... لـها تـاركاً في وصـلها غـيرُ راغـبِ
تـرى بيضـها بـيضَ السـيوفِ وصـفرها ... إذا قـاربت كـفيكَ صـفرَ العقـاربِ
أتـتكَ بـأبهى مـا بـها مـن بشاشـة ... فـلاقيتها فـي وجـهٍ أعـبسٍ قاطـبِ
فـما تـركت مـن حيلـةٍ عملـت بهـا ... وجاءتكَ ترجو الصيدَ من كلِّ جانبِ
فـأرجعتها عـطلى تـجرُّ شـراكها ... رجوعَ امرئ عـن مؤملِ الصيدِ خائـبِ
ألـحّت فـلم تـنعم عـليكَ خطابهـا ... وكـم نـفخت نشـزاً على كـلِّ خاطـبِ
كأنّـكَ والـدنيا الـمسيحُ وغـادة ... فـكنتَ حـصوراً مـثلهُ لم تقـاربِ
ألا مَـنْ يُـعزي آلَ بـيتَ مـحمّد ... بـمؤتمنٍ مـا خـانَ نـهلةَ شـاربِ
وكافـلِ أيتـامٍ لهـم وأرامـل ... وهـادي مـحبّيهم سـواءَ المـذاهبِ
وكـوكبِ مـحرابٍ ومـنطيقِ منـبر ... وفـيصلِ أحـكامٍ وغـيثِ مواهـب
ومـستجمعِ الأضـدادِ مـن بشـرِ عـالم ... وهـيبةِ سـلطانٍ وحـالةِ راهـبِ
فـلا تـشمت الحسـادُ في فقـدِ ذاهـب ... فللّـهِ فـينا حـجّةٌ غـيرُ ذاهـبِ
(أبـو صـالح المهـدي) واحـدُ عصـرنا ... فـأكرم بـهِ مـن واحـدِ العصـرِ صـاحبِ
يهـتك أسـتار الـغيوب بـفكرة ... إذا هـي زجـت أحضـرت كـل غائـب
ينـبؤنا بالـمشكلاتِ صـريحة ... فيـشكلُ فـينا أمـرهُ بـالعجائبِ
يـحدّثُ أصـحاباً ويقضـي خصـومة ... ويـرقمُ مـجهولَ الـعلومِ الغرائـبِ

فلم تلههِ أقلامهُ عن مخاطب ... ولا ينتهي عنها بقولِ المخاطبِ
ولو أنّهُ قد كانَ في عصرِ جدّه ... لأصبحَ منهم بينَ غالٍ وناصبِ
أخو همّةٍ لم يحدثُ الدهرُ فتنة ... على الناسِ إلاّ غالها بالمعاطبِ
فيصلحُ من جهّالها كلَّ فاسد ... ويخمدُ من نيرانها كلَّ ثاقبِ
فتى ساسَ أهلَ الدهرِ في طبٍ حكمة ... فجرّبهم ثمّ اغتنى بالتجاربِ
يمرّنُ أبناهُ على المجدِ صبية ... كما مرّنَ البازي كفَّ الملاعبِ
وما ذاكَ من خوفِ الخمولِ وإنّما ... لتتندبَ الفرسانُ فوقَ السلاهبِ
جرى وجروا في أثرهِ نحو غاية ... فما اختلفوا إلاّ برورِ المناكبِ
وكلٌّ على كلٍّ تقدّمَ في العُلى ... على قدرِ فضلِ السنِّ غيرَ مغالبِ
تقدّمَ مقدارَ الجلالةِ (جعفر) ... فحلَّ من (المهدي) أعلى المراتبِ
ترقّى براقَ العلمِ بل رفرفَ التقى ... إلى قابِ قوسٍ مدركِ العقلِ عازبِ
وكلٌّ إذا أبصرتهُ شمتَ كوكباً ... وضيءَ المُحيا في محلِّ الكواكبِ
أخو فطنةٍ فيها استطالَ نباهة ... على كلِّ كهلٍ للكرامِ وشائبِ
فلو أنّه يُملي على كلِّ كاتب ... قديمِ القضايا أعجزت كلَّ كاتبِ
يكادُ بأن يروي بعظمِ اطلاعه ... إلى ابنِ أبي الدنيا قديمَ العجائبِ
ولو رامَ (كعبٌ) أن يجاري حديثه ... كساهُ من الخجلانِ حلّةَ كاعبِ
أضاءت بهم (فيحاءُ بابل) مثلما ... أضاءت قديماً في السنينِ الذواهبِ
فليستَ تُبالي بعد أن ظفرت بهم ... أغابَ الذي قد غابَ أم غيرُ غائبِ
أعدتم لنا العصرَ القديمَ ومَنْ به ... من العلماءِ الفاضلينَ الأطائبِ

وقال أيضاً يرثي الشيخ الأنصاري المذكور، ويعزّي السيد محمد حسين بن السيد ربيع، وقد أقام له مجلس العزاء في الحلّة، ومادحاً في آخرها السيد مهدي القزويني:

أتـــابوتُ طـــالوتَ ذا ســـائراً ... أم الـــنعشُ فـــيهِ الهـــوادي تســـير
وهـــذي الـــسكينةُ فـــي ضـــمنه ... أم المرتضـــى عـــادَ ضـــمنَ الســـرير
وإنّ ســـليمانَ فـــوقَ الـــبساط ... يـــحفُّ بـــهِ الـــجندُ جمـــاً غفـــير
وذي نـــفخةُ الصـــورِ قـــد فاجـــأت ... فـــجاءَ الـــورى يومهـــا القمطريـــر
أم الـــمرتضى جـــاءَ فيـــهِ النعـــي ... بـــصوتٍ يـــهدُّ الرواســـي جهـــير
وقـــد عطّـــرَ الكـــونُ منـــهُ الحنـــوط ... أم الـــحورُ ذرّت عـــليهِ العبـــير
وذلـــكَ لحـــدّ لـــهُ شـــقّ أم ... خـــزانةُ عـــلمِ الـــعليمِ الخبـــير
لـــئن عـــقرَ العـــربُ .... عـــشيّة مـــن نـــاقةٍ أو بـــعير
فـــقد عـــقرَ الـــمجدُ مـــن فوقـــه ... فـــطبّقَ وســـعَ الـــفضا بالهـــدير
وإنْ هـــي كـــبت جفـــانَ الكـــرام ... وأمســـين نـــيرانهم لا تـــنير
فـــقد أخـــمدَ الـــنارَ مـــن بعـــده ... وكـــبّ الأوانـــي أُنـــاسٌ كثـــير
فـــيا راضـــياً دهـــرهُ باليســـير ... ولا شـــيء فـــيهِ عـــليهِ عســـير
أراك سلـــــيمانَ في مـــــلكه ... وســـلمان إذ لا تعـــاف الحصـــير
فـــلم أرَ مـــثلكَ كـــسرى زمـــان ... يـــقضي الـــزمانَ بقلـــبٍ كســـير
لازمـــت نفســـكَ عصـــرَ الشـــباب ... قـــيام ..... وصـــومَ الهجـــير

فـــــرحت عـــــلى ذاكَ لا قـــــاعداً بـــك الـــضعفُ عنهـــا لســـنٍّ كبـــير
أبكـــــــــيكَ للـــــــــعلماءِ الألى تركـــــتهم بـــــالعظيمِ الـــــخطير
لأنّـــــهم نـــــظمُ عـــــقدِ الـــــجمان أُصـــــيبَ بـــــواسطهِ الـــــمستنير
وهـــــذي الـــــشريعة مـــــمّا بـــــها جـــــوابُ مـــــسائلها لا تـــــحير
عـــــزاءُ مـــــحمد يابـــــن الألي إلـــــيهم أمـــــورُ الـــــبرايا تصـــــير
فـــلا غـــرو إذ كنـــتَ ممّـــنْ أُصـــيب بـــأمرٍ أصـــاب أبـــاكَ الأمـــير
فـــما يـــوم عـــمّار مـــن يومـــه بـــأدهى وإن كـــان يومـــاً شـــهير
فـــيا كـــوكباً فـــي سمـــاءِ العـــلا ويـــنقلب الـــطرفُ عنـــهُ حســـير
جـــريت فأدركـــتَ أقصـــى المـــدى وغـــيركَ فـــي خـــطةٍ يســـتدير
إذا مـــا ارتـــديتَ ثيـــابَ الفخـــار فـــأرثك لـــست لـــها مـــستعير
ومـــا كـــان فيـــكَ مـــن المكرمـــات فـــشنشنةٌ مـــن نـــذيرٍ بـــشير
نـــضارة ذا الـــعودِ مـــن أصـــله ومـــا كـــلّ عـــودٍ تـــراهُ نضـــير
فـــخفّض عـــليكَ ونهنـــه جـــواك فبـــدرُ الـــهدايةِ فـــينا مـــنير
إذا الـــناسُ قـــالوا إلـــى أيّـــهم إلـــى ابـــن أبيـــكَ أشـــارَ المشـــير
إلى ســـيّدِ الـــقومِ مـــولاهم ومَـــنْ هـــو للـــدينِ نِعْـــمَ النصـــير
هـــمام إذا الـــدست فيـــهِ اســـتقل تـــقولُ علـــى الدســـت حلمـــاً ثبـــير
أبـــا جـــعفر أنـــتَ نعـــمَ الـــدليل لـــمَنْ حـــارَ يومـــاً ونعـــم المجـــير
فـــما اعـــترض الشـــكُ قـــدماً بـــه ولا الـــيوم مـــقترنٌ فـــي نظـــير

وغـــــيركَ مـــــا هـــــو في غيرهـــــا إذا عـــــدّ مـــــنها ولا فـــــي النفـــــير

وإنْ صـــرفت عنـــكَ بعـــض العيـــون ولا تـــدرك الشـــمسَ عـــينُ الضـــرير

وأبـــــناؤك الـــــغرّ كـــــلُّ نـــــرى بـــــهِ شـــــبّراً ونـــــلاقي شـــــبير

وله يعزي الحاج محمد صالح كبه بوفاة ولده الحاج مهدي [1]

هـــــاتف بـــــالنعي ســـــدَّ الفضـــــاءا واحـــــال الصـــــبح المنـــــير مســـــاءا

واضـــــل الوفـــــود ســـــاعة اهـــــدى بنعـــــي المهـــــدي ذعـــــراً عنـــــاءا

وفقيـــــد خـــــصَّ الكـــــرام فأضـــــحى النـــــاس طـــــراً برزئـــــة شـــــركاءا

---

١ - هو أكبر أنجال الحاج محمد صالح ذكره السيد حيدر الحلي في ج ١ من كتابه (العقد المفصل) ص ١٣٣ وقال عنه ما نصه: ولد سنة ١٢١٩ هـ وكان مذ ترعرع فريد زمانه في كرمه وإحسانه وواحد عصره في شرف نفسه وفخره. قد برع في البلاغة والفصاحة، واشتهر من كرم أخلاقه بالسجاحة والسماحة.

جامعاً بين نباهة الذكر وجلالة القدر. عاش (٥٢) سنة وتوفي في حياة أبيه سنة ١٢٧١ هـ، ويظهر من ديوان السيد حيدر انه توفي في فارس وجئ بنعشه الى النجف وقد رثاه السيد المذكور وعمه المهدي والملا محمد القيم وصاحب الديوان كما ذكرنا ذلك في تراجمهم في ج ٢ من كتابنا البابليات.

ورثاه أيضا الشيخ عباس الملا علي النجفي كما في ديوانه الذي نشرناه في النجف سنة ١٣٧٥ هـ نقلا عن كتاب (دمية القصر) الذي ألفه السيد حيدر وجمع فيه ما قيل في هذه الاسرة لحد سنة ١٢٧٥ هـ وقد ذكرناه تفصيلا في عداد آثارهم في ترجمته في كتابنا المذكور ونسخة الاصل بخط المؤلف في مكتبة الاستاذ الجليل الشيخ محمد مهدي كبة.

أســـف الماجـــدون حزنـــاً عليـــه فهـــم كـــاظمون فيـــه العنـــاءا
فكـــأن كـــل واحـــد مـــنهم يعقـــوب قـــد جـــاءه بنـــوه عشـــاءا
كيـــف بالصـــبر في رزيـــة نـــدب طبـــق الـــريّ والعـــراق بكـــاءا
فكـــأن العـــراق والـــريّ قامـــا مأتمـــاً واحـــداً وناحـــا ســـواءا
جـــاء يقتـــاده اشـــتياق مـــزار لقبـــور بهـــا الوجـــود اضـــاءا
فمضـــى وهـــو زائـــر في جنـــان الخلـــد منهـــا نفوســـها الازكيـــاءا
وكأنـــه اختـــار المنيـــة كـــيلا عـــنهم بعـــد قربـــه يتنـــائى
وهـــم حـــين عـــاينوا منـــه قلبـــاً صـــادقاً في ودادهـــم وولاءا
قرّبـــوا جســـمه الـــيهم وأدنـــوا في الرفيـــع الاعلـــى لـــه حوبـــاءا
فغـــدا وهـــو فـــائز في نعـــيم لـــيس يخشـــى عليـــه ثم شـــقاءا
لســـت أدري أتهنـــه الوجـــد فيـــه أم بعظـــم الفـــراق أزداد داءا
أم ألـــوم الزمـــان فيمـــا تجـــرّى والى المحســـنين فيـــه اســـاءا
لا أذم الزمـــان وهـــو محلـــيً بـــأبي المصـــطفى عُـــلاً وبهـــاءا
الـــذي غنـــت الحـــداة عليـــه حيـــث حلـــوا مـــن الفجـــاج ثنـــاءا
والـــذي ســـار ذكـــره حيـــث ســـارت نـــيرات الســـما وأهـــدت ســـناءا
والـــذي يفـــرج الشـــدائد حـــتى ليســـت تلقـــى الزمـــان إلا رخـــاءا
فـــاق فيـــه العـــراق فخـــراً الى ان كـــاد يغـــدو علـــى الســـماء سمـــاءا
مـــن يقـــس نيلـــه بنيـــل ســـواه فلقـــد قـــاس بالســـراب المـــاءا

سبق السابقين بالمجد حتى ... تترك الاقدمين سبقاً وراءا

ما ابن يحيى [1] ما حاتم ما ابن عباد ... وان في الانام فاقوا علاءا

ذاك عصر يدعو بنيه الى الجود ... فلا غرو ان غدوا اسخياءا

ربما قلّت الوفود على من ... قد رأى في العلا له أكفاءا

أي فخر لذي زمان بنوه ... يتعاطون في الزمان العطاءا

إنما الفخر للسخي بعصر ... كل أهليه أصبحوا بخلاءا

وهو من بينهم كشمس نهار ... لا ترى الخلق من سواها ضياءا

لا تزال الدنيا لديه ذلولا ... آخذاً في زمامها حيث شاءا

مدَّه اللّه بالعطاء كما في ... حبه لم يزل يمد العطاءا

وحباه من فضله بالاماني ... وكفاه الاهوال والارزاءا

لم أفه بالعزاء علماً بأني ... فيه اهدي الى البحار الماءا

من يقل للجبال كوني جبالا ... فلقد فاه بالمقال هذاءا

لم يزده العزاء إلا كما قد ... زاد ضوء المصباح نوراً ذكاءا

لا أرى صبره سوى سدّ ذي القرنين ... قد عاق عن حشاه العناءا

بدر مجد تحوطه من ذويه ... شهب عنه ترجم اللئماءا

طهروا عنصراً وطابوا فروعاً ... وأمدوا على الورى أفياءا

---

١ - عنى بأبن يحيى الفضل البرمكي وبابن عباد الصاحب كافي الكفاة وهما في غنى عن التعريف ادباً وجوداً.

في بيـــوت مثـــل الربيـــع لـــدى مـــن نزلـــوا ســـاحها مصـــيفاً شـــتاءا
قـــد أقـــروا بســـاحهن شـــقيقي مـــذا غـــدا لا يـــرى الفضـــاء فضـــاءا[1]
ورأى اليســـر نائيـــاً منـــه حـــتى حـــــلَّ في ربعهـــــم رآه أزاءا
وتـــردى بـــه وأقبـــل يســـعى في ســـرور يجـــر ذاك الـــرداءا
ســـكّنوا روعـــة لـــه وأعـــادوا فقـــره بالســـماح مـــنهم غنـــاءا
جمعـــوا شملنـــا بـــه بعـــد صـــدع جمـــع اللّـــه شملهـــم والعـــلاءا
كـــدت أفـــنى شـــوقاً اليـــه الى أن قيـــل بشـــراً قـــد حـــل ذاك الفنـــاءا
وأعـــادوا لي الحيـــاة أمـــات اللّـــه مـــن أصـــبحوا لهـــم اعـــداءا

وله أيضا في رثاء الحاج مهدي كبة ويعزي أباه الحاج محمد صالح.

ألا طـــرق الاسمـــاع مـــا قـــد أصـــمّها وكلّـــم احشـــاء تكابـــد كلمهـــا
مصـــاب بـــه خُـــص الكـــرام مـــن الـــورى ولم يعـــدُ بـــاقي العـــالمين فعمّهـــا
حمـــدت الليـــالي برهـــة قبـــل وقعـــه وقـــد حـــق لي مـــن بعـــده أن أذمهـــا
ليـــالي لم تـــبرح تجـــد بحربنـــا وان لعبـــت يومـــاً فعاينـــت ســـلمها
ليـــالي لا ينفـــك في النـــاس جورهـــا فسل ان تسل عنها جديساً وطسمها[2]

---

١ - يشير في الابيات الاتية الى عطفهم على أخيه الشاعر الاديب الشيخ حمادي وأكرامهم له حين نزل عليهم ضيفاً في بغداد.

٢ - طسم بن لاوذ بن إرم جد جاهلي من العرب العاربة كانت منازل بنيه في الاحقاف بين عمان وحضرموت وفي المؤرخين من يقول إقامتهم مع جديس كانت =

مضت بعظيم القدر وابن عظيمه وما استعظمت بين البرية جرمها
مضت بالفتى المهدي من شاد للعلا دعائم لا يستطيع ذا الدهر هدمها
مضت بالذي يمضي على الدهر حكمه وقد أنفذت فيه المنية حكمها
دنت من مليك دونه حاجب النهى يذود فأنى اقصدت فيه سهمها
مضى مطعم الغرثى بداجية الشتا فكيف أذاقته المنية طعمها
مضى من ينسي الضيف أهليه بالقرى وينسي اليتامى ساعة الثكل يتمها
مضى من أباد البخل في سيف جوده وللجود أسياف أبى المجد ثلمها
مضى واصل الارحام بعد انقطاعها اذا قطعت أهل المروة رحمها
الى تربة عادت عبيراً فأصبحت تحاول أملاك السماوات لثمها
الى خير قبر ما رأى الناس مثله ثرى جمعت فيه المعالي فضمها
له الحلما شقوا الجيوب وزايلت عشية عنهم شخصه زال حلمها
اذا احتشمت لطم الخدود اكفها فقد جعلت حزناً على الهام لطمها
فلم أدر حتى وارت الارض شخصه جبال النهى يخفي الصعيد أشمّها
فلم أدر حتى وارت الارض شخصه بدور الهدى يخفي الصعيد أتمها

= في أراضي بابل وبعد غزو الفرس لهما انتقلوا الى اليمامة. ومن المستشرقين من يذهب الى أن هلاك طسم وجديس كان حوالي سنة (٢٥٠) بعد الميلاد ولا دليل في الاثار أو في الاخبار يؤيد هذا بل الاخبار متفقة على أنهم أقدم من هذا التاريخ بازمان وقصتهم مع جديس مشهورة.

فلـم أدر حـتى وارت الارض شخصـه ... بحـور النـدى يخفـي الصـعيد خضـمها
لـئن أسـفت فيـه النفـوس فأنسـها ... بوالـده أضـحت تـنفس غمهـا
فـتى بـاذلاً في اللّـه للنـاس مالـه ... فـلا حمـدها يرجـو ولم يخـش ذمّهـا
فـتى سـورة الاخـلاص مـل فـؤاده ... وفي سـورة الانعـام للنـاس عمهـا
اذا جمحـت خيـل السـنين باهلهـا ... لـوى بالنـدى رغمـاً علـى الـدهر لجمهـا
عـلا لـو تـراءت مـن خصـيب وحـاتم ... ومعـن لبـاتوا يحسـدونك عظمهـا
عـلا مالهـا إلا محمـد صـالح ... فمـن رام ادناهـا فقـد رام ظلمهـا
بـه واخيـه وابنـه وشـبولهم ... سمـاء المعـالي ازهـر اللّـه نجمهـا
فكـانوا نجومـاً في سمـاء سماحـة ... انالـت شـياطين الاشـحاء رجمهـا
خلائقهـا تـدني اليهـا وفودهـا ... وهيبتهـا عنهـا تباعـد خصـمها
كـأن لافـراخ الانـام بيوتهـا ... وكـون تـرى فيهـا أباهـا وأمهـا
فصـبراً جبـال الحلـم صـبراً وان يكـن ... مصـابكم دك الجبـال وأكمهـا
فـان سـقمت في رزئكـم مهجـة الهـدى ... ففـيكم أزال اللّـه في الـدهر سـقمها
ولا نقـص عنـدي في السـماء وبـدرها ... مضـيء اذا مـا الشـهب زايـل نجمهـا
سـقى غيـث عفـو اللّـه قـبراً بلحـده ... عظـام فلـم يعلـم سـوى اللّـه عظمهـا

وله أيضا معزياً الحاج محمد صالح كبة في امرأة من أهل بيته توفيت.

كفى الدهر ذلاً حين غالت غوائله ... خبأً ما رأت شهب السماء عقائله
وقاح فما أدري أهل كان عالماً ... بأعظم ما قد جاء أم هو جاهله
تخطى الى خدر ولو كان عاقلا ... رأى من ندى أهليه ما هو عاقله
وأسلم منه للمنايا كريمة ... ببيت كرام ما رأى الضيم نازله
دفينة خدر لم يزد في حجابها ... ثرى القبر مذ هيلت عليها جنادله
محجبة لم يطرق السمع صوتها ... ولا شخصها يومها تراءت شمائله
ولا انقص التأنيث في الدهر فضلها ... وعنها يعزى واحد الدهر فاضله
يعزى أبو المهدي عنها ومن غدت ... أواخره ممدوحة وأوائله
فتى اوقف الحوبا على النسك والتقى ... الى ان غدت فرضاً عليه نوافله
فتى شاغل في مدحه كل مذود ... ومذوده حمد المهيمن شاغله
اذا مرَّ يوماً بالاصم يخاله ... يحييه أو عن بعض شيء يسائله
اذا ضمه المحراب أبصرت كوكباً ... اضاء الدجى والليل قد حال حائله
فتشفق ان عاينته متهجداً ... لكثرة ما يرعدن خوفاً مفاصله
اذا ما احتبى وجه النهار بدسته ... وغصت بأرباب الفخار محافله
سمعت بليغ القول من نطق فيصل ... اذا قال امضى كل ما هو قائله
ألا لا تقس فيه سواه مخاطباً ... ولا تعدلن فيه اذا فاض نائله

فمـا يسـتوي في النطـق قـس وباقـل ولا يسـتوي طـلّ السـحاب ووابلـه
فلـو شـاهد الطـائي بعـض هباتـه لابهـره ثم انثـنى وهـو عاذلـه
هـو النـيّر المـوفي الـذي كـل نـير لـه هالـة والبحـر والبحـر سـاحله
ألم تـره لمـا اقتفـاه شـقيقه حبـاه مـن العليـاء مـا لا تحاولـه
كـريم لـه طبـع النسـيم اذا سـرى شمـالا وطيـب العنـبر الغـض شـامله
مـتى تلقـه تلـق امءراً متبسـما طليـق المحيـا مؤمنـات غوائلـه
تواضـع حـتى كـاد يخفـى تواضـعاً علـى أنـه فـوق السـماك منازلـه
ونـال الرضـا مـن فخـره غايـة الرضـا فاسـخط مـن أعـداه مـن لا يشـاكله
فـتى زانـه رأي الكهـول وربمـا تـثفن مـن قـوت المسـاكين كاهلـه
خلائقـه لـو للكواكـب أزهـرت نهـاراً ولم يأفـل مـن الافـق آفلـه
سـجايا تلافاهـا الجـواد فأصـبحت لكـل جـواد حسـرة لا تزايلـه
اذا مـا تمناهـا الكـرام ترفعـت وما كل من قد حاول الشيء واصله
ومنـه أكتسـى ثـوب الفخـار محمـد فقصـر مـن قـد كـان جهـلاً يطاولـه
إذا قسـته في أهلـه فهـو جعفـر وإلا فبحـر والكـرام جداولـه
اولئـك آحـاد الزمـان كرامـه أماجـده أنجابـه وأفاضـله
علمـت سـجاياهم فصـغت مـديحهم وماكـل مـن قـد يعلـم الشـيء فاعلـه
ومـاذا انتفـاع المءر يومـاً بعلمـه اذا لم يكـن دون الـورى هـو عاملـه
اذا السـيف لم تضـرب بـه يـوم معـرك فسـيان ملقـى كـان أو أنـت حاملـه

اليــك أبــا المهــدي تهــدى عقيلــة تــدين لهــا مــن كــل فكــر عقائلــه
معزيـــة النـــدب الغـــني بحلمـــه وعــلاّم أضــعاف الــذي أنــا قائلــه
ومــاذا يزيــد البحــر مــاء ســحائب وان هطلــت عمــر الزمــان هواطلــه
وهـل في ضياء الشمس فقر لمن غدت توقــدُ إنــاء النهــار مشــاعله
ولكــن هــذا الفــرض أوجبــه الوفــا فــاني مؤديــه وانــك قابلــه

وقال يرثي العالم الاديب السيد مهدي بن السيد داود الحلي[1] ويعزي ابن اخيه شاعر الفيحاء الشهير السيد حيدر بن السيد سليمان سنة ١٢٨٩ هـ وتخلص فيها لمدح السيد مهدي القزويني.

تعاليــت قــدراً أن تكــون لــك الفــدى نفــوس الــورى طــراً مســوداً وســيدا
وكيــف تفــدى في الزمــان ولم يكــن لــديك بــه الــذبح العظــيم فتفتــدى
بــذاك اســتحلت حرمــة المجــد جهــرة وان الــردى يجــري عليــك لتفقــدا
وكيــف تخطــى في حمــاك ألم يكــن لهيبتــك العظمــى اســيراً مقيــدا

---

١ - هو شيخ أدباء الفيحاء في عصره وسيدهم المقدم تخرج عليه عشرات من أدباء الفيحاء منهم ابن اخيه السيد حيدر والشيخ حمادي نوح والشيخ محمد الملا وصاحب الديوان واخوه الشيخ حمادي الكواز ان كانت ولادته في الحلة عام ١٢٢٢ هـ ومن آثاره (مصباح الادب الزاهر) ومختارات من شعر شعراء العرب في جزئين ضخمين سلك فيهما طريقة ابي تمام في ديوان الحماسة، وكتاب في انواع البديع، وديوانه يقع في جزئين وهما من مخطوطات مكتبتنا وتوفي ٤ محرم سنة ١٢٨٩ هـ، وقد ذكرنا تفصيل ترجمته في ج ٢ من كتابنا البابليات.

مصـــاب تعـــدّى حـــد كـــل عظيمـــة واغـــرق نزعـــاً في النضـــال بـــل اعتـــدى
بـــــان أبـــــا داود عاجلـــــه الـــــردى وكـــان الـــذي ينتاشـــنا مـــن يـــد الـــردى
لان أضـــحت الهـــلاك منـــه بـــاجرد فيـــا طالمـــا كـــان الـــرواق الممـــدا
وكـــان امـــان العـــالمين فحـــق ان يحـــل بهـــا الارجـــاف في الـــدهر ســـرمدا
اغـــرّ اذا لاقيتـــه اجلـــت العـــلا لعينيـــك بشـــراً مـــن محيـــاه فرقـــدا
حذاحـــذو آبـــاه الالي أسســـوا العـــلا فوطـــد مـــن فـــوق الاســـاس وشـــيدا
الى أن غـــدا فينـــا لاحمـــد معجـــزاً ألا كـــل قـــول منـــه معجـــز احمـــدا
اذا لـــبس الـــدنيا رجـــال فانـــه لعمـــري منهـــا شـــدّ مـــا قـــد تجـــردا
فواللّـــه مـــا ضـــلت عليـــه طريقهـــا ولـــو شـــاء مـــن أي النـــواحي لهـــا اهتـــدى
فمـــا مالـــت الايـــام فيـــه بشـــهوة ومـــا ملكـــت منـــه الدنيـــة مقـــودا
وان حاولتـــــه راغ عنهـــــا محلقـــــاً كمـــا راغ وحشـــي تشـــوف اريـــدا
اذا مـــا توسمـــت الرجـــال رأيتـــه أقلهـــم مـــالاً وأكثـــرهم نـــدى
فقـــل لقـــريش تخلـــع الصـــبر دهشـــة وتلـــبس ثوبـــاً للمصـــيبة أســـودا
وتصـــفق جـــذ الـــراحتين بمثلهـــا وتغضـــى علـــى الاقـــذاء طرفـــا تســـهدا
فقـــد عمّهـــا الـــرزء الـــذي جـــدد الاســـى عليهـــا بمـــا خـــص النـــبيّ محمـــدا....
بطـــود عـــلاء قـــد تفيـــأ ظلّـــه مـــن النـــاس مـــن قـــد كـــان أدنى وأبعـــدا
وشمـــس نهـــار يستضـــئ بنورهـــا جميـــع الـــورى مـــن غـــار مـــنهم وانجـــدا
فللّـــه ذاك الطـــود مـــن ذا أزالـــه وللّـــه ذاك النـــور مـــن كـــان أخمـــدا

فيا مغمضاً عينيه عند وفاته ... ويا ناشراً من فوقه فاضل الردا
لغطيت وجهاً فيه يستنزل الحيا ... وغمضت جفناً لا يزال مسهدا
وسكَّنت أمواج البحار عشية ... عدوت على تلك اليدين ممدا
أقول لمشتق الضريح لجسمه ... شققت قلوباً للهداة واكبدا
أتدري على من تشرج اللبن جهرة ... على مقلة الايمان بل مهجة الهدى
أحيدر يا بن الشاكرين من الثنا ... يسيراً ومعطين الكثير من الندى
لانت الذي في العزّ من آل هاشم ... كهاشم فخراً من قريش وسؤددا
رأيتك أعلى ان تعزى ومن ترى ... يناشد بدر التم أن يتوقدا
حذاري أن تمسي وحاشاك جازعاً ... حذاري على الاطواد أن تتميدا
لك الحكم اللاتي فضحن بلفظها ... لبيداً ولكن بالمعاني مبلدا
فكم من مضل في سبيل جهالة ... تلقيته فيهن فانصاع مرشدا
فحسبك بل حسبي وكل موحد ... ابو صالح المهدي منتجع الهدى
عماد قباب الدين دام علاؤه ... وايدهُ ربُّ السماء وسددا
هو الحجة البيضاء لم يخف أمرها ... على أحد إلا الذي كان ألحدا
يرى نفسه الادنى من الناس رتبة ... على انه الاعلى محلا ومحتدا
عزيز إذا ما جاء للناس محفلا ... ذليل إذا ما جاء للّه مسجدا
فكم شمل خطب لا نطيق دفاعه ... فزعنا الى عليائه فتبددا
هو الملتجى دنياً ودیناً فمن يمل ... الى غيره ضل السبيل وما اهتدى

أبــو الغــر كــل صــالح بعــد جعفــر يكــون حســيناً في العــلاء محمــدا[1]
وأجــلّ الــورى قــدراً وأعــذب منطقــاً وأوفــرهم علمــاً وأسمحهــم يــدا
وأزكــاهم نفســاً وأكثــرهم تقــىً وأصــوبهم رأيــاً وأفصــح مــذودا

وقال يرثي السيد ميرزا علي نقي الطباطبائي الحائري حفيد صاحب الرياض، ويشير لوفاة السيد محمد تقي ابن السيد رضا ابن المهدي بحر العلوم، وكان قد توفّي قبله بأيام، وذلك سنة ١٢٨٩ هـ[2]:

مــا فــارقَ الأسمــاعَ صــوتُ النــاعي حتــى دعــا بــنعاءِ آخــرَ داعِ
هتــفا بنــا مــتتابعينِ فــأجّجا نــاراً عــلى نــارٍ لــدى الأضــلاعِ
فــتزاحمت بهمــا اللــواعجُ في الحشــى كــتزاحمِ الأصــواتِ فــي الأسمــاعِ
لــلّهِ مــن نــصلٍ تــعذّرَ ســبره إلاّ بضــربِ الــصارمِ الــقطّاعِ
رزءٌ تســرّعَ إثــرَ رزءٍ بــغتة فتــواصلَ التــفجاعُ بــالتفجاعِ

---

١ - جمع في هذا البيت أنجال السيد مهدي القزويني الاربعة وهم السيد ميرزا جعفر والميرزا صالح والسيد محمد والسيد حسين وقد ذكرنا تفاصيل تراجمهم جميعاً في كتابنا البابليات.

٢ - السيد علي نقي بن الحسين حسن بن محمد بن علي الطباطبائي الحائري صاحب (الرياض)، انتهت إليه الزعامة الدينية والدنيوية في الحائر، ومن كتبه (الدرة الحائرية) في شرح الشرائع (ط)، والدرّة في الخاص والعام (ط).

وأمّا السيد محمد تقي فهو ابن السيد رضا ابن السيد المهدي بحر العلوم من فقهاء عصره، له كتاب (القواعد) في أصول الفقه (خ)، ورثاه السيد حيدر الحلّي وغيره، وقد رثاهما صاحب الديوان معاً.

ورمـــى الـــعيونَ الســـاهراتِ بمســـهر ... مـــن قـــبلِ أن يهممـــنَ بالتهجـــاعِ[1]

وأســـالَ ثـــمّة كـــلّ دمـــعٍ ســـائل ... وأراعَ ثمّـــة كـــلّ قـــلبٍ مـــراعِ

ذهـــبَ الـــنقي فـــيا وفـــود تشـــتتي ... فـــي كـــلّ ذاتِ مـــهالكٍ مضـــياعِ[2]

واستـــــشعري إلاّ الـــــحياةَ فـــــإنّما ... هـــلك الـــرعيةِ فـــي هـــلاكِ الراعـــي

ذهـــبَ الـــذي قـــد كنـــتُ مـــن نعمائـــه ... فـــي ريـــفِ ذي كـــرمٍ طويـــلِ البـــاع

فـــجعت بـــهِ عـــليا قـــريش وإنّمـــا ... فجـــعت بـــبدرِ فـــخارها الـــلمّاعِ

أودى بـــهِ الـــقدرُ الـــمتاحُ وطالمـــا ... قـــد كـــانَ لـــلأقدارِ جـــدّ مـــطاعِ

تبـــكيكَ لابـــسة الـــسوادِ بـــأدمعٍ ... حمـــر لـــبيض مـــناقبٍ ومـــساعِ

تـــبكي وكـــلّ مـــوحّدٍ مـــن حولهـــا ... يـــبكي بـــصوتِ الـــعارضِ الهمـــاعِ

أبـــكيكَ مـــرفوعَ الـــسريرِ مـــشيعاً ... بعـــصائبِ الأمـــلاك والأشـــياعِ

حـــتى أتـــوا بـــكَ بـــقعة قـــد زدتهـــا ... شـــرفاً وكـــانت قـــبلُ خـــير بقـــاعِ

لـــو لم تكـــن في العـــرش روحـــك لانثنـــت ... شـــهبُ الـــسماء نـــود فضـــلَ القـــاعِ

أأبـــا الـــحسين ومَـــنْ بـــهِ أَمِـــنَ الهـــدى ... مـــن كـــلّ قـــاصدٍ ركـــنهُ بـــتداعِ

ومؤيـــــداً ديـــــنَ الإلـــــه كـــــتابه ... فيـــــما يـــــردّ كـــــتائبَ الـــــدراعِ

ألبـــــسته حـــــفظاً عـــــليه ورأفـــــةً ... زغـــف الـــسوابغِ مـــن نسـيج يـــراعِ

---

١ - تهجاع: النومة الخفيفة. قال أبو قيس:

قـــد حصـــت البيضـــةُ رأســـي فمـــا ... أطعـــمُ نومـــاً غـــيرَ تهجـــاعِ

٢ - المهالك: المفاوز المجدبة.

حتى غدا فيها بأعظم منعة ... ليست ترى بسوابغ الأدراعِ
لا زال فيك وفي بنيك ممنعاً ... من كيد كلّ مصانعٍ سمّاعِ
القوم ما خلقوا لغيرِ هداية ... وحماية للخائفِ المرتاعِ
أبناء منجبةٍ تكادُ طباعهم ... توفي على شهبِ السما بشعاعِ
أنّا صنائعهم وقد بلغت بهم ... حدّ النهايةِ قدرة الصنّاعِ
لم أدرِ واللّه المهيمن قادر ... أيجيء مثلهم كرامُ طباعِ
هضب لدى الأهوال جدّ ثوابت ... وإذا دعا المظلومُ جدّ سراعِ
يؤون لو أنّ ابن نوحٍ جاءهم ... آوى إلى عالي الذري مناعِ
ما ذاك من حلف الفضولِ وإنّما ... كان اقتضاء طبايع ومساعِ
أأبى من الآسادِ إلاّ إنّهم ... في الجودِ طوعُ أرادةِ الخدّاعِ
تسع الفضاء صدورهم حتى إذا ... بليت بحقدٍ فهي غيرُ وساعِ
يسعون في طلبِ العلاء فإنْ سعى ... واشٍ لهم الغوا حديثَ الساعي
لا يبرحنَّ الدهرُ طوع أكفهم ... شروى الذلول التابع المطواعِ
يغري محبّكم وإنْ نقم العدا ... وافى براغم أنفها جدّاعِ

وقال يرثي العلاّمة الكبير الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء[1].

اللهُ مـــا بـــعد هـــذا اليـــومِ مصـــطبر ... لـــلمسلمينَ ولـــو رامـــوا إذن عـــذروا
وأصـــدقُ الـــناسِ إيـــماناً أشـــدّهم ... حـزناً ومـمّن قـد تسـلّى كـاذبٌ أشـرُ
أيـــملكُ الـــصبرَ مَـــنْ للـــدينِ منتحـــل ... والـــدينُ أصـــبحَ بطـــن الأرضِ يقتـــبرُ
رزءٌ أقـــلُّ الـــذي قـــد جـــاءَ أنّ بـــه ... تـــفنى النفـــوسُ وتُمحـــى بعـــده الصـــورُ
نـــاعٍ أصـــاتَ فقـــالَ الـــدهرُ مندهشـــاً ... اللهُ اكبـــرُ مـــاذا أبـــدعَ الـــقدرُ
فـــقالَ لا قـــالَ بـــل جـــذت ســـواعده ... وطـــارَ فـــي مفرقيـــهِ الصـــارمُ الـــذكرُ
إنّ الـــذي كـــانَ للعـــافي ســـحابُ نـــدى ... ولـــيسَ فـــي نـــيلهِ رنـــقٌ ولا كـــدرُ
أضـــحت تـــقلّبُ أيـــديها قواصـــده ... مـــغبرّةً الـــجو لا مـــوجٌ ولا مطـــرُ
أبـــو الأمـــينِ ولـــي الله قـــد نُصـــبت ... لـــهُ الأرائـــكُ حـــولَ العـــرشِ والســـررُ
ونـــائحاتٍ دعـــت فـــيهِ فحـــقّ بـــأن ... تـــجيبها غـــررُ الأمـــلاكِ لا البشـــرُ
إن تـــبكهِ مـــقلُ الأفـــلاكِ تبـــكِ فـــتى ... بمثـــــلهِ أنبـــــياءُ اللهِ تفـــــتخرُ
أبـــا الأمـــينِ لـــو أنّ المـــوتَ أنصـــفنا ... أبـــقاكَ مـــا بـــقيتْ آلاؤكَ الـــغررُ

---

١ - الشيخ مهدي كان من المراجع العظام في عصره، ولد سنة ١٢٢٦ هـ وتوفّى سنة ١٢٨٩ هـ، وله آثار ومدارس دينية في النجف وكربلاء تُعرف باسمه اليوم، وقد رثاه السيد حيدر الحلّي، والشيخ محسن الخضري، وصاحب الديوان وغيرهم من شعراء النجف.

كـــي لا يـــضلّ طريـــقُ الحـــقِّ طالبـــه ولـــم يـــخب مَـــنْ إلى جـــدواكَ يفتقـــرُ
فهـــــنّ آلاءُ مـــــفقودٍ إذا طـــــويت طـيّ السـجلِ غـدت في الكتـبِ تنتشـرُ
نـــفسي الـــفداء لأجـــفانٍ مـــغمضة كـــانت تـــؤرّقها الـــعلياءُ لا الســـمرُ
جـفت ومـا أن جفـت عـن قسـوةٍ أبـداً أغضـت ولم تغضـها مـن حـادثٍ فكـرُ
أفـــدي مـــحيّاً أغـــرّاً مـــا تـــقابله إلاّ وأشـــرقَ مـــن بـــشرٍ بـــهِ القمـــرُ
أمـــسى تـــعفّرُ تـــربُ القـــبرِ غرتـــه وفـــوقها مـــن ثـــرى محرابـــهِ عفـــرُ
مَـنْ بعـدهُ فيـهِ يُستسـقى السـحابُ وقـد كـــانت تـــصوبُ بـــهِ الهطالـــةُ الهمـــرُ
أبـــا مـــحمدٍ إنّ الـــدينَ فـــي دهـــشٍ قـــد لاذَ فـــيكَ مـــروعٌ وهـــو منـــذعرُ
نـــشدتكَ اللهَ فـــي الـــبقيا عليـــه فقـــد أودى لـــوجدكَ في أحشـــائهِ الضـــررُ
وحـــائزٌ قـــصبَ العليـــاءِ أســـبق مـــن جـــرى إلـــى غـــايةِ العليـــاءِ يبتـــدرُ
مـغبّر فـي وجـوهِ القـومِ مـا رجحـت مـــنهُ الـــمناكبُ إلاّ ولـــده الـــغررُ
الـــتابعينَ لـــهُ فـــي كـــلِّ مـــنقبة بيضـاءَ عنهـا جميـعُ الخلـقِ قـد قصـروا
فـــلا يـــخطُ لـــهُ فـــي غـــايةٍ أثـــرٌ إلاّ وكـــانَ لـــهم مـــن حـــولهِ أثـــرُ
جـــحاجحُ هـــم شـــبولٌ حـــول غابتـــه وحـــولَ هـــالتهِ هـــم أنـــجمٌ زهـــرُ
الآخـــذين بـــأطرافِ الـــفخارِ عُـــلا إنْ عـــاقَ غـــيرهمُ الإعيـــاءُ والخـــورُ

وقال يرثي العالم الجليل الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء[1]، ويعزّي العلاّمة السيد مهدي القزويني:

نعى فشجى قلبَ الشريعةِ إذ نعى ... وعادَ لديهِ أصبرُ الناسِ أجزعا
وضيّعَ أهلُ الحزمِ قوةَ حزمهم ... كما أنّ حُسنَ الحلمِ أضحى مضيعا
ولم ترَ هذا الكونَ إلاّ بدهشة ... كأنّ الفنا في الناسِ نادى فأسمعا
لفقدِ سليلِ الأكرمينَ محمد ... لقد كادَ قلبُ الدينِ أن يتصدّعا
فتى كان في ألفاظهِ ولحاظه ... حساماني كانا من شبا الموتِ أقطعا
أبا حسنٍ قد كنتَ للدهرِ بهجةً ... فأوحشَ منها البينُ للدهرِ أربعا
وقد كنتَ عرنينَ الزمانِ الذي غدا ... يزانُ بهِ وجهاً فأصبحَ أجدعا
وكنتَ بعينيهِ الضياءَ فما الذي ... أزالَ الضيا عنها وأبدلَ أدمعا
فما أظلمَ المحرابِ بعدكَ وحده ... نعم مشرقُ الدنيا ومغربها معا
كأنّ ضياءَ الصبحِ قد حالَ لونه ... أو الليلَ قد أرخى على الصبحِ برقعا
وما أنتَ مَنْ خصّ الأقاربَ رزؤه ... ولكنّهُ عمّ البريّةَ أجمعا

---

١ - كان الشيخ محمد المرجع الوحيد بعد وفاة عمّه الشيخ حسن، وفي أيّامه خرجت سدانة الروضة الحيدرية عن (آل الملاّ) وأخذ هو مفاتيحها بيده، ثمّ سلّمها للسيد رضا الرفيعي فتولاّها نيابة عن الشيخ المذكور، ثمّ أُلقي الأمر كلّه إليه إلى أن قُتل عام ١٢٨٥ هـ، وكانت وفاة الشيخ المذكور سنة ١٢٦٨ هـ، ورثاه السيد حيدر الحلّي وعبد الباقي العمري وغيرهما من شعراء النجف والحلّة.

ألـم تـرَ هـذا الكـونَ كالفلـكِ إذ غـدا يعـــومُ بـــموجٍ كـــالجبالِ تـــدفعا
بــنفسي طــوداً ضعضــعَ الكــونُ ركنــه ومــا خلــتُ ذاكَ الطــودَ أن يتضعضــعا
أبـــا جـــعفرٍ أنـــتَ المرجّـــى لمحنـــة إذا أشـكلت أضـحى إلى الحـقِّ مشـرعا
وأعـــلمُ خـــلقُ الـــلّهِ في كـــلّ مـــوطن وأرســـاهمُ في الخطـــبِ ركنـــاً وأمنعـــا
كـــأنّكَ أعـــطيتَ الـــجبالَ ثـــباتها وأوصـــيتها في الخطـــبِ إلاّ تزعزعـــا
ومـــا أنـــتَ إلاّ عـــيبةٌ لـــمحمد بـــها كـــلّ آيـــاتِ الـــنبوّةِ أودعـــا

وقال يرثي مرجع الطائفة في عصره الشيخ محمد حسن المعروف بصاحب الجواهر[1]، ويعزّي العلاّمة السيد مهدي القزويني:

قضى ماجدٌ كانَ في عصره ... بمنزلةِ النورِ من بدرهِ
ومنزلةِ الروحِ من جنبها ... ومنزلةِ القلبِ من صدرهِ
وأضحى الحمامُ لدى العتب ذا ... لسانٌ تلجلجَ في عذرهِ

---

١ - ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبد الرحيم ابن العالم العامل الآغا محمد الصغير ابن الآغا عبد الرحيم المعروف بالشريف الكبير، وجده محمد المذكور هو الذي رثاه السيد صادق الفحّام بقصيدة مثبتة بديوانه المخطوط الموجود بمكتبتنا، وأرّخ فيها وفاته عام ١١٤٩ هـ، والمترجم من أكابر فقهاء الإمامية وأعاظم علماء القرن الثالث عشر، وشهرته تغني عن الإسهاب بذكره، فقد انتهت إليه زعامة الشيعة ورئاسة المذهب الإمامي، وثنيت له الوسادة في سائر الأقطار زمناً طويلاً، وكتابه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) من آيات الفقه الجعفري، وهو الأثر الذي أحيا ذكره وخلّد فخره، وأصبح وسام مجد له ولأسرته على كثرة مَنْ نبغ منهم في العلم والأدب، وقد شرع بتأليفه وهو ابن (٢٥ سنة)، وقد طبع مراراً على ضخامته وله غيره من الآثار. ومن مساعيه الحميدة النهر الذي حفره من وسط نهر آصف الدولة (الهندية) حتى أوصله قرب النجف وغيره من المآثر والآثار.

كان مولده سنة ١٢٠٢ هـ تقريباً، ووفاته غرّة شعبان ١٢٦٦ هـ، ورثاه كثير من الشعراء منهم السيد حيدر الحلّي، وعمّه السيد مهدي، وصاحب الديوان، والشيخ إبراهيم صادق، والشيخ عباس الملاّ علي، والسيد حسين الطباطبائي وغيرهم من شعراء العراق، ودُفن بمقبرته الخاصة المجاورة لمسجده المعروف، وذكر تفصيل ترجمته شيخنا الجليل آغا بزرك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة، وترجم له أيضاً ولأولاده وأحفاده صاحب ماضي النجف وحاضرها الشيخ جعفر محبوبة.

لـــــتبكِ الـــــشجاعةُ مـــــقدادها ويـــــبكي الـــــتقى لأبـــــي ذرّهِ
ويبـــــكي الـــــزمانُ بـــــشجو مـــــحمداً حـــــسناً منتهـــــى أمـــــرهِ
فـــــكانَ الـــــعمادُ وفـــــيهِ تُـــــشاد خـــــيامُ الهـــــدى في حمـــــى فخـــــرهِ
لـــــيبكِ الـــــموحدُ حـــــزناً لـــــه فـــــقد بـــــسمَ الشـــــركُ عـــــن ثغـــــرهِ
فـــــكسّر قنـــــا الشـــــركِ في جـــــبره وجـــــبّرَ قنـــــا الشـــــركِ في كســـــرهِ
وأضـــــحى الزمـــــانُ لمـــــا قـــــد عـــــراه دجـــــى لـــــيسَ يـــــدنو إلى فجـــــرهِ
فـــــلم يُـــــعرفِ الظهـــــرُ مـــــن ليلـــــه ولـــــم يُعـــــرفِ الليـــــلُ مـــــن ظهـــــرهِ
لـــــقد حـــــملوا نـــــعشهُ والهـــــدى يـــــقومُ ويـــــكبو عـــــلى إثـــــرهِ
أرى العلـــــمَ والحلـــــمَ والمكرمـــــات جـــــميعاً حـــــواها ثـــــرى قـــــبرهِ
ومـــــا دفـــــنوهُ بـــــهِ وحـــــده أجـــــل دفنـــــوا الكـــــونَ في أســـــرهِ
مـــــحمدٌ لـــــمّا قضـــــيتَ الزمـــــان تـــــسافلَ مـــــنه عُـــــلا قـــــدرهِ
فـــــشهركَ عـــــارٌ عـــــلى عامـــــه ويـــــومكَ عـــــارٌ عـــــلى شـــــهرهِ
هـــــجاني لـــــساني إذا هـــــو لم يـــــكن راثـــــياً لـــــكَ في شـــــعرهِ
ومـــــادحُ مـــــهدي فـــــقد الأنـــــام مَـــــنْ اخـــــتصّهُ اللّـــــهُ في ذكـــــرهِ
ومَـــــنْ هلـــــكَ البخـــــلُ في جـــــوده ومَـــــنْ فـــــني العســـــرُ في يســـــرهِ
فـــــكم مـــــنكرٌ ردّ فـــــي نـــــهيه وكـــــم فـــــعلُ العـــــرفِ في أمـــــرهِ
أخـــــو مـــــننٍ طـــــالما أشـــــرقت شـــــموسُ الثنـــــا في سمـــــا شـــــكرهِ
وأحـــــيا نـــــداهُ ريـــــاضُ العـــــلا فـــــهاهنَّ يـــــنفحنَ عـــــن نشـــــرهِ

نـــرى فيـــهِ آثـــارَ خـــيرِ الـــورى مـــــحمدٍ والـــــمرتضى صـــــهرهِ
أبـــا جـــعفرٍ لـــم أفـــهْ بـــالعزا لأنّـــــكَ أذكـــــى ذوي دهـــــرهِ
وأنـــــتَ وعـــــاءُ عـــــلومِ الإلـــــه ومـــــؤتمنُ الـــــلّهِ فـــــي ســـــرّهِ
فمَـــــنْ ذا يجـــــيء إلى الشـــــمسِ في ســـــراجٍ ولـــــلطودِ فـــــي ذرّهِ
ومـــا جـــاءَ فيـــهِ المعـــزّي بشـــعر إلـــيكَ ومـــا جـــاءَ في نثـــرهِ
فـــذاكَ لـــعمري مـــنكَ إليـــك ومـــا فـــاقَ غـــيركَ في فخـــرهِ

وقال من قصيدة عزّى بها أحد أصدقائه:

أأبـــا مـــحمدٍ والمصـــيبةُ ســـهمها لجميـــعِ مَـــنْ في الكائنـــاتِ مصـــيبُ
إنّـــي وإن عظمـــتَ علـــيَّ رزيـــة فـــبمهجتي مـــمّا شـــجاكَ لهيـــبُ
فـــكأنّما الأرزاءُ فـــي أحشـــائنا كـــانت نـــدوباً فـــوقهنَّ نـــدوبُ

وقال هذين البيتين في رثاء ولد له صغير دُفن في المقبرة المشهورة حول (مشهد الشمس) في الحلّة، وقد ذكرناهما سهواً في ترجمة أخيه الشيخ حمادي في البابليات ج ٢:

لـــيهنُ محـــاني مشـــهدُ الشـــمسِ إنّـــه ثـــوى بـــدرُ أنســـي عنـــدها بثـــري القـــبرِ
وكـــانَ قـــديماً مشـــهدُ الشـــمسِ وحـــدها فعـــادَ حـــديثاً مشـــهدُ الشـــمسِ والبـــدرِ

الحماسة والشكوى والعتاب

قال يشكو الزمان ويتخلّص لندبة الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف):

بكى جزعاً ممّا بهِ من زمانه ... فما لكما فوقَ الأسى تعذلانه
توهّمتما أنْ هاجهُ ذكرُ أهيف ... يميلُ بأكنافِ الحمى ميلَ بانه
أو أنّ الصبا من أرضِ كاظمةَ سرى ... عليلاً له فاعتلَّ من سريانه
نعم، كانَ في عهدِ الصبا وأوانه ... يؤرّقه ذكرُ الحمى وحسانه
وقد كانَ يصبي قلبهُ البرقَ لامعاً ... فيحيي الدُّجى شوقاً إلى لمعانه
يبهجهُ الروضُ الأنيقُ بذي الغضا ... فتصلي الغضا أحشاهُ من أقحوانه
فأصبحَ يلهيهِ عن اللهو همّه ... ويشغلُ شانيهِ الدموعَ لشانه
دعاهُ وما يلقى من الضرِّ والجوى ... إذا لم تكونا ويكما تنفعانه
لعلَّ ابنَ خيرَ المرسلينَ يُغيثه ... فينقذهُ من كربهِ وامتحانه
أقولُ لنفسي هوّني الخطبَ واصبري ... يهنْ أو يزلْ بالصبرِ صرفُ هوانه
ولا تجزعي من جورِ دهرٍ وإنْ غدا ... يروعكِ ما يأتي بهِ ملوانه
فعندي مولى ضامنُ ما أخافه ... وعندي يقينٌ كافلٌ لضمانه
وكيفَ تخافينَ الزمانَ ومفزعي ... إلى القائمِ المهدي من حدثانه
لئن خوّفتني النائباتُ فإنّني ... لجأتُ لسامي عزّهِ وأمانه
وإنْ ضقتُ ذرعاً بالحياةِ لفاقة ... فلي سعةٌ من فضلهِ وامتنانه

وقال:

أدعوكَ للكُربِ التي لم تفرج ... ونوائبٍ ألممنَ في قلبي الشجي

ولـــفافةٍ لـــو شـــئتَ يـــوماً ســـدَّها لســـــددتها ولـــفتحِ بـــابٍ مـــرتجِ
لـــمّا رأيـــتُ الأمـــرَ ضـــاقَ علـــيَّ مـــن كـــلِّ الـــجهاتِ ولم أجـــدْ مـــن مخـــرجِ
ذكـــروكَ لـــي وأنـــا الـــعليمُ بـــأنّك الـــمولى الـــمبلغُ عـــبدهُ مـــا يرتجـــي
فـــأتيتُ قـــبركَ قـــاصداً يـــقتادني حسـنُ الرجـا ويسـوقني القلـبُ الشـجي

وقال هذه القصيدة في احدى زياراته الى كربلا معاتباً فيها السيد أحمد الرشتي إذ لم يلق في بيته من الحفاوة مثلما كان يلقاه في عهد ابيه السيد كاظم وذلك سنة ١٢٨٦ هـ.

وقـوفي تحـت الغيـث مـا بلّـني القطـر وعمـت بلـج البحـر مـا علَّـني البحـر...
ورحـــت بمـــا في معـــدن التـــبر طامعـــاً فعـدت وكفـي وهـي مـن صـفرها صـفر
وكنـت قـد استنصـحت في الامـر رائـداً فقـال هـو الـوادي بـه العشـب والزهـر
فلمـــا حططـــت الرحـــل فيـــه وجدتـــه وأمواهـــــه نـــــار وأزهـــــاره الجمـــــر
فواللّـــه مـــا أدري أأخطـــأ رائـــدي أم أكـــذبني عمـــداً أم أنعكـــس الامـــر
وكـــم اطمعتـــك الغانيـــات بوصـــلها فلمـــا تـــدانى الوصـــل آيســـك الهجـــر
وذلـــك مـــن فعـــل النســـاء محبّـــب ولكنـــه مـــن غيرهـــا خلـــق وعـــر
علـــى انـــه ينمـــى الى العـــيلم الـــذي تمـــد البحـــار الســـبع أنملـــه العشـــر
فـتى كـاظم للغـيظ مـا ضـاق صـدره إذا ضـاق من وسع الفضا بـالاذى صدر
إذا حســـن البشـــر الوجـــوه فانـــه لمـــولى محيـــاه بـــه يحســـن البشـــر

وما هو في حسن المناقب مكتس فخاراً ولكن فيه يفتخر الفخر
اخوالعلم إمازج في الغيب فكره الى ماوراء الستر يلقى له الستر
وذو معجزات قال من لا يطيقها كما قيل فيمن جاء من قبله سحر
أضاءت به الدنيا زمانا ومذ مضى اضاء بنوري نيَّريه لنا الدهر
هما (الحسن) الزاكي النجار وصنوه الفتى أحمد الافعال يعزى له الشكر
لقد جريا يوم الرهان لغاية فجاءا معاً ما حال بينهما فتر
هما رقيا في المجد ما ليس يرتقي باجنحة نسر ما حلّهُ النسر

وله أيضاً:

رعى اللّه فكري كم يقرب لي فكري بعيداً كأن عنقاء مغرب في وكر
وكم لي من آمال نوكى بمعشر أراني غنياً بت منهم على فقر
فهل نظرت عيناك مثلي في الورى فتى هو في أيامه معدم مثري
وكم من محال ظلت ازعم ممكناً كمن راح نحو البحر ملتقط الجمر
أرى الناس عاشوا بادعاء فضيلتي فما لي محروم وما لحقوا اثري
بلينا بقوم كالسباع ضواريا تصول فما تبقي من الصيد في البر
اذا افترسوا لا يتركون للاعق دماً لا ولا فرثا الى جعل يسري
فانيابهم مشغولة بفريسة وأعينهم ترنو الى الصيد في القفر
كأن كل فرد منهم الحوتة التي رأى شبعها عياً سليمان في البحر

قال متحمساً ومعرضاً بشاعري بغداد في عصره العمري والاخرس:

وشـــــاعر مـــــلا الاوراق قافيـــــةً ... ويحســـب الشـــعر في تســـويد أوراق
وظـــل يـــزري علـــى شـــعري لقلتـــه ... وتلـــك لســـعة جهـــل مـــا لهـــا راقـــي
امـــا رأى لا رأى جـــمّ الكواكـــب لا ... تغـــني عـــن البـــدر في اهـــداء أشـــراق
ولـــو رآني بعـــين مـــن قـــذى حســـد ... باتـــت خليـــة أجفـــان وأمـــاق
لقـــال لي وبـــديع القـــول يشـــهد لي ... بمـــذود ببليـــغ الـــنظم نطـــاق
اخرســـت اخـــرس بغـــداد وناطقهـــا ... ومـــا تركـــت لبـــاقي الشـــعر مـــن بـــاقي

ومن شعره في صباه:

قـــالوا تركـــت نظـــام الشـــعر قلـــت لهـــم ... لـــذاك ذنـــب علـــيكم غـــير مغتفـــر
لم ألـــق مـــنكم ســـوى مـــن بـــات ينظـــرني ... بـــاعين الجســـم لا في أعـــين الفكـــر
تســـتعظمون عظـــيم الـــذقن عنـــدكم ... كـــان شـــعر الفـــتى آت مـــن الشـــعر

وله أيضاً:

قـــلْ للزمـــانِ ليـــنقص أو يـــزد نوبـــاً ... فـــما يـــزلزلُ مـــن أطـــوادِ أحلامـــي
أمّـــا الحيـــاةُ فـــإنْ طالـــت وإنْ قصـــرت ... فـــلا أراهـــا ســـوى أضـــغاثُ أحـــلامِ
وكيـــف اســـتكثرُ الأحـــداثَ في زمـــن ... قلّـــتْ لـــديهِ لـــياليّ وأيـــامي
لـــو أكـــرمَ الـــدهرُ مَـــنْ قبلـــي الكـــرامَ لمـــا ... قـــنعتُ مـــن زمـــني إلاّ بـــإكرامي

وقال عند قدومه لزيارة الإمام علي (عليه السّلام):

زرنـــا أمـــيرَ المـــؤمنين وفوقنـــا عـــبءٌ مـــن الأرزاءِ لـــيسَ يطـــاقُ

حـــتى إذا جئنـــا رفيـــعَ جنابـــه ســـقطتْ كمـــا تتســـاقطُ الأوراقُ

وقال حين جاء لزيارة الكاظمين (عليهما السّلام):

تقـولُ لي الـنفسُ الـتي سـدّ دهرهـا عليهـا كمـا تبغـي جميـعَ المنـاهجِ

أيعييـكَ بعـدَ اليـومِ إدراكُ حاجـة وقـد جـاءَ فيـكَ الحـظُّ بـابَ الحـوائجِ

وقال يندب الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف):

أبـا القاسـم المـدعو في كـلِّ شـدّة يـزجُ بهـا المقـدارَ أدعـى نوائبـه

إليـكَ مـن الـدهرِ العنيـدِ شـكايتي ولا غـرو أن يُشـكى الزمـانُ لصـاحبه

وقال:

أترضـى بمـا قـد قـالَ زيـدٌ معاكسـاً لقـولي لمـا أن خلـوتَ بـهِ يومـا

طلبـتُ فطـوراً منـهُ إذ أنـا صـائم فـأدبرَ عـنّي قـائلاً تبتغـي صـوما

وكتب إلى العلاّمة السيد ميرزا جعفر القزويني وقد قاربه شهر رمضان:

لقـد صـامَ كيسـي صـومَ (الوصـال) فـلا مـن حـرامٍ ولا مـن حـلال

أترضـى بـأن يغتـدي صـائماً وأنـتَ جـديرٌ برؤيـا الهـلال

وكتب في صدر رسالة بعث بها إلى العلاّمة السيد ميرزا صالح القزويني يستنجده لدفع ملمّة نزلت به[1]:

(أبـا حسـنٍ ومثلـكَ مَـنْ ينـادي) إذا أخـذَ العنـا بيـدي وجيـدي
فمـا عـددتُ غـيركَ في البرايـا (لكشـفِ الضـرِّ والهـولِ الشـديدِ)

وقال:

حـتى مَ أمـكثُ أمـراً بـينَ أمـرين لا راحـةَ الـقربِ تُـدنيني ولا البـينِ
أُعـلّلُ الـعينَ فـي رؤيـاكمُ سـحراً فيضـحكُ الصبحُ من كـذبي على عيني
إنّ الـمُنى مـثلُ ديـنٍ عـندَ طالبـه لأشـعبَ لـيسَ ذا يـأسٌ مـن الـدينِ

وله في الخوف من اللّه تعالى:

لا فخـرَ في الأيـامِ إلاّ إلى فـتى يبيـتُ الليـلَ حلـفَ السـهادِ
ريّـانَ نبـتُ الهـدبِ مـن عـبرة منهلـةِ الأجفـانِ خـوفَ المعـادِ

وله في الشيب:

قلـبي خزانـةَ كـلِّ علـمٍ كـان في عصـر الشـباب
واتـى المشـيب فكـدتُ أنسـى فيـه فاتحـة الكتـاب

---

١ - وأصلهما بيت واحد شطره الكواز، وهو مطلع قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) للسيد محمد شريف بن فلاح الكاظمي من شعراء القرن الثاني عشر للهجرة.

وله في قصة اتفقت له في الحلة من الاخرس الشاعر البغدادي ذكرناها في مقدمة الديوان:

فلـو ان لبسـي قـدر نفسـي لاصـبحت تحـاك ثيـابي مـن جنـاح الملائـك

ولـو كـان فيمـا اسـتحق مجالسـي نصـبن علـى هـام السـماك ارائكـي

وكتب الى معاصره الاديب الشيخ محمد التبريزي الحلي:

محمـد اني كلمـا كظـنى الجـوى أتيتـك اشـكو مـا أجـن مـن الحـزن

فمالـك لم تسـعد ومالـك لم تعـن ومالـك لم تنجـد ومالـك لم تغـن

فاجابه:

اذ امكـن الاسـعاد أسـعدتُ منجـداً ولكنـني أصـبحت مثلـكَ في الحـزن

فمالـك لم تصـبر ومالـك لم تعـن ومالـك لم تكـتم ومالـك لم تـثن

وكتب الى أخيه الشيخ حمادي من عشيرة آل مسافر الى الحلة:

ببيـت التمـر والعسـل المصـفى وصـالح في بيـوت مـن بـواري

كـأن الاقتبـاس بكـم ينـادي (احلـوا قـومهم دار البـوار)

النسيب والتشبيب

وقال متغزلا:

تجلـــى والفـــؤاد لـــه (كلـــيم) فاصـــعقني وحلمـــي (طـــور ســـينا)

بوجـــه كلمـــا عاينـــت فيـــه يزيـــدك في محاســـنه يقينـــا

يكلـــم بالفهاهـــة لا لعـــيّ ولكـــن كـــي نزيـــد بـــه جنونـــا

صـــحبناه زمانـــا مـــا عرفنـــا لـــه مـــن ســـائر الاديـــان دينـــا

وآخـــر مثلـــه وأشـــد منـــه علينـــا قســـوة امـــا شـــجينا

يمـــرّ فيشـــرئب كشـــبه ضـــبي رأى حـــول الـــورود القانصـــينا

كـــان بقلبـــه شـــيئا علينـــا يكتمـــه حـــذار الشـــامتينا...

قنعنـــا بالســـلام وقبـــل كنـــا بمـــا فـــوق الامـــاني طامعينـــا

وانّي نرتضـــي منـــه مـــلالاً وكنـــا مـــن دلالٍ ســـاخطينا

جعلـــتُ لـــه شـــفيعا مـــن ثقـــاتي فمـــا أغـــنى كـــلام الشـــافعينا

ومن ملحه ونوادره هذه الابيات التي أنشدها للمرحوم السيد ميرزا جعفر القزويني:

بـــأبي الـــذي مهمـــا شـــكوت وداده طلـــب الشـــهود وذاك منـــه ملـــيح

قلـــت الـــدموع فقـــال لي مقذوفـــةً قلـــت الفـــؤاد فقـــال لي (مجـــروح)

قلـــت اللســـان فقـــال لي مـــتلجلج والجســـم قلـــت فقـــال لـــيس صـــحيح

فقال له السيد أحسنت ولكن يجب أن تكون القافية (صحيح) منصوبة لانها خبر ليس والجسم المتقدم اسمها فقال الكواز قد قلت قبل مولاي (ليس صحيح) ثم غيرها حالا فقال (والجسم قلت فقال ذاك صحيح)[1].

وله:

وربة ضبية من آل موسى أرتني باللحاظ عصى ابيها

وغرّتها تفوق سنى الدراري كأن يمينه البيضاء فيها

وله أيضا:

الطرف يزعم لولا القلب ما رمقا والقلب يزعم لولا الطرف ما عشقا

هذا يطالب في لبّ له احترقا وذا يطالب في دمع له اندفقا

ما بين هذا وهذا قد وهى جلدي من ادّعي وهما بالقول ما اتفقا[2]

---

١ - ولقد سبقه الى معنى ابياته عماد الدين محمد بن عباس الدبستري المتوفى سنة ٦٨٦ كما في الفوات:

وقلت شهودي في هواك كثيرة وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح

فقال شهود ليس يقبل قولهم فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

٢ - ولقد ظن الدكتور محمد مهدي البصير في محاضرته التي دوّنها عن صاحب الديوان في كتابه (نهضة العراق الادبية) ان هذه الخصومة التي نسبها للكواز الى طرفه وقلبه والنتيجة التي انتهت اليها هذه الخصومة وهي حيرته المطبقة بسبب اختلاف الخصمين معنى لم يسبقه اليه أحد ١٠ هـ.

قلت قد سبقه العباس بن الاحنف في تشكيله خصومة طريفة عقدها بين طرفه وقلبه فقال:

اذا لمت عينيّ اللتين اضرتا بجسمي فيكم قالتا لي لم القلبا

=

وله أيضا:

أعاتبـــــــه فيصـــــــبغ وجنتيـــــــه بلـــــون العنـــــدم القـــــاني عتـــــابي
ويـــــرمقني فيكســـــو حُـــــرّ وجهـــــي مخفافـــــة ســـــخطه صـــــفر الثيـــــاب
وأطنـــــب في الســـــؤال بغـــــير داعٍ ومـــــا قصـــــدي ســـــوى ردّ الجـــــواب

وقال:

أنـــــت علمتـــــني الهـــــوى فاجتهـــــدت فلهـــــذا العـــــذول مـــــا قلّـــــدت
فانـــــا اليـــــوم في الغـــــرام إمـــــام ولـــــه كـــــلٌ مقتـــــد ارشـــــدت

=

فـــان لمـــت قلـــبي قـــال عينـــاك هاجتـــا عليـــك الـــذي نلقـــى ولي تجعـــل الـــذنبا
وقالـــت لـــه العينـــان أنـــت عشـــقتها فقـــال نعـــم أورثتمـــاني بهـــا عجبـــا
فقالـــت لـــه العينـــان فـــاكفف عـــن الـــتي مـــن البخـــل مـــا تســـقيك مـــن ريقهـــا عـــذبا
فقـــال فـــؤادي عنـــك لـــو نـــرك القطـــا لنـــام ومـــا بـــات القطـــا يخـــرق الشـــبها

وجاء بعده ابو العلاء فشكل مثل هذه الخصومة ما بين نفسه وجسمه حيث قال من أبيات أوردها ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٤ ص ٣٢٣.

نفســـي وجســـمي لمـــا اســـتجمعا صـــنعا شـــراً إلي فجـــلّ الواحـــد الصـــمد
فالجســـم يعـــذل فيـــه الـــنفس مجتهـــداً وتلـــك تـــزعم ان الظـــالم الجســـد
اذا همـــا بعـــد طـــول الصـــحبة افترقـــا فـــان ذاك لاحـــداث الزمـــان يـــد
وأصـــبح الجـــوهر الحســـاس في محـــن موصـــولة واســـتراح الاخـــر الجمـــد

والاصل فيه قول دعبل بن علي الخزاعي:

لا تأخـــــذا بظلامـــــتي أحـــــداً قلـــــبي وطـــــرفي في دمـــــي اشـــــتركا

علمـــــاء الهـــــوى إذا بـــــاحثوني لا يطيقـــــــون ردّ مـــــــا أوردت
وتجـــــردت للغـــــرام لامســـــي عـــــاملاً فيـــه والزمـــان زهـــدت

وقال أيضا:

وليلـــةً بـــتُّ والمحبـــوب معتنقـــي وللتقـــى والهـــوى في القلـــب معـــترك
فقلـــت للـــنفس مهـــلاً ان مـــن يطـــع الهـوى حمـار ومـن يعصـي الهـوى ملـك

وله:

يـــا حبيبـــاً وأنـــت للحـــب أهـــل والهـــوى كلـــه بغـــيرك جهـــل
أنـــت أولى بـــان تحـــب واولى بالـــذي قالـــت المحبـــون قبـــل
أكثـــر المـــدح في الجمـــال قـــديماً هـــو في حســـنك الحـــديث أقـــل
عجبـــاً تزهـــد الجنـــان انـــاس وبـــاعلى قصـــورها لـــك مثـــل
ليـت شـعري أهـل جبينـك في الافـق هـــلال للنـــاسِ حـــين اســـتهلوا
يـــا غـــزالا حلّـــت بـــه الخمـــر عنـــدي وهـــي لـــولا وجـــوده لاتحـــل
رعـــف الـــزق في الكـــؤوس فقـــل في ذهـــب بـــات في لجـــين يُحـــلُّ
أنـــت لمـــا ســـقيتني لســـت أدري هـــي خمـــرٌ أم دبّ في العظـــم نمـــل
مـــذ بســـطنا يـــد الوصـــال وأيـــدي الهجـــر عنـــا بـــالرغم منـــه تغـــل
وعـــذول قـــد جـــاء يطلـــب ردعـــي ويلـــه كيـــف يـــردع الصـــب عـــذل
قـــال لي والهـــوى يـــداه بســـمعي كـــم الى كـــم في حـــب اسمـــاء تغلـــو

وقال:

تفـــرّس مـــن عيـــني اني عاشـــقه غـــداة خفيـــات اللحـــاظ أُســـارقه
وزاد يقينـــاً حـــين فاضـــت مـــدامعي كمـــا في ضـــياء الصـــبح يـــزداد رامقـــه
وكيـــف اكتتـــامُ الســـرِّ في قلـــبِ عاشـــقٍ إذا مـــا بـــدتَ في مقلتيـــه حقائقـــه
ولي مـــدمع لا ســـرّ للقلـــبِ عنـــده إذا مـــا اختفـــى إبـــداه للنـــاس دافقـــه
كمثـــل الحيـــا يحـــيي النبـــات بصـــوبه فتخـــرج مـــن تحـــت الـــتراب حدائقـــه
فيـــا حبـــذا وادي العقيـــق وحبـــذا نســـيم صـــبا يحـــيي بريـــاه ناشـــقه

وله:

ذهـــب الشـــرب بـــالحجى يـــا لـــواحي فاعـــذروني فـــانني غـــير صـــاحي
لعـــــب الشـــــوق بـــــالفؤاد الى ان جـــدَّ فيـــه والجـــد غـــير المـــزاح
كـــان ســـكري مـــن اللـــواحظ حـــتى صـــار بـــاللحظ واللمـــى والـــراح
جمـــح الحـــبّ بي وشـــوقي طفـــل افـــأذ شـــاب يســـتلين جمـــاحي
إنمـــا النـــار قدحـــة مـــن زنـــاد وكـــذا الحـــب نظـــرة مـــن مـــلاح

قال الشيخ الاديب علي بن الحسين العوضي الحلي كان الشيخ صالح واخوه الشيخ حمادي يمشيان معي فتذاكرنا من أنواع البديع تشبيه الشيء بشيئين فقلت في ذلك.

عاطيتـــه صـــرفاً كـــأن شـــعاعها شـــفق المغيـــب ووجنـــة المحبـــوب

فاجاز الشيخ صالح مرتجلا:

فغـدت وقـد مزجـت بعـذب رضـابه شـهداً يضـوع عليـه نشـر الطيـب

واجازه الشيخ حمادي فقال:

وشـربتُ صـاف مـن لمـاه كأنـه مـاء الحيـا أو دمعـي المسـكوب

وله:

قـلْ للصـغارِ مـن الحسـان إلاّ لا تكـبرن مخافـة الخـدر

ان الاهلـة لا يطـوف بهـا خسـف وكـان الخسـف للبـدر

وقال أيضا:

يقـول لي اسـترح وعنـاي منـه ولـو صـدق الكـلام إذن أراحـا

علـى جسـمي يـرق اذا رآه ويوسـع قلـبي العـاني جراحـا

وله:

حبـاني بـأنواع الشـراب تكرمـاً فواللّـه مـا آثـرت شـرباً علـى اللمـا

إذا اسـكرتني مقلتـاه وثغـره فمـا ابتغـي بـالخمر أشـربها فمـا

هـل الخمـر إلا عـن لمـاه تيممـاً أعنـد وجـود المـاء أبغـي التيممـا

غـــلام دنـــا والـــراح في راح كفـــه فـــراح يعاطينـــا فـــرادى وتوأمـــا
يطـــوف بهـــا صـــهباء قـــدَّم عصـــرها معاصـــرة مـــن قبـــل عـــاداً وجرهمـــا
إذا طـاف قلـتُ البـدر بالشـمس طـائف ولم يكفنـــا حـــتى اســـتزدناه أنجمـــا
تشـــابه دمعـــي والحميـــا وخـــدّه فكـــل اذا عاينتـــه خلتـــه دمـــا
فيـــا جـــاهلاً شـــوقي لـــو انـــك عـــالم لا وشـــكت ان تحنـــو علـــيَّ وترحمـــا
لقـــد كـــان طـــود الحلـــم مـــني ثابتـــاً إذا مـــا نســـفن الحادثـــات يلملمـــا
عصـــفن بـــه أهـــواء حبـــك فـــانثنى وأركانـــه قـــد أوشـــكت ان تهـــدما

وله أيضا:

النـــاس تحســـبني خلـــيَّ صـــبابة لكثـــير مـــا ألقـــاهم بتصـــبري
حـــتى إذا نظـــروا حـــديث مـــدامعي يـــروي الجـــوى عـــن قلـــبي المتســـعر
علمـــوا فـــلا علمـــوا ولامـــوا ليـــتهم عـــذروا ومـــن يكلـــف بميـــة يعـــذر

وقال:

يـــا أبنـــة العـــامري هـــل للمشـــوق رشـــفة مـــن طـــلا لمـــاك الرحيـــق
ربُّ قـــومٍ تغبقـــوا بابنـــة الكـــر م واني في الريـــق أبغـــي غبـــوقي
إنمـــا المســـكرات عنـــدي حـــرام مـــا عـــدا مســـكر لنـــا في الريـــق
وهـــب يـــا وهـــب هـــل رأيـــت بـــلاءاً كـــبلاء العشـــاق بالمعشـــوق
أم رأيـــت الغريـــق يشـــكر جهـــداً للـــورى لوعـــة الـــرميض الحريـــق

من عذيري بذاتِ حسن هواها ... في الحشى مُنزل الدما في العروق
ما حسبتُ العذيب قبل ارتشافي ... ثغرها بين بارق والعقيق
لا ولا قبل وجهها شمت شمساً ... تتجلى من فوق غصن وريق
كلما قلتُ جار قومك فينا ... قالت العذل شأنهم للرفيق
أي عدل وقد أخذتم فؤاداً ... ما آذنتم لجسمه باللحوق
انا لو لم يبت فؤادي اسيراً ... ما لقيتُ الورى بدمعٍ طليق

وقال أيضا:

بقلب واشيك لا في قلبك الضرم ... وجسم لاحيك لا في جسمك الالم
أعيذ حُسنك في حسنى فعالك ان ... يسري لجسمك من أجفانك السقم
أو ان يعبس ذاك الثغر من جزع ... لحادث وهو للاحباب يبتسم
جسم توقد في حمائه كبدي ... شفاؤه وشفائي ريقك الشبم

وله:

تقول الشمس لما عاينتها ... إذاً سيان أطلعُ أم أغيب
فما في هذه الافاق فقرٌ ... اليَّ فإنها عني تنوب

ومن عرفانياته قوله:

أنا من أسأَ وأنتم من أحسنا ... أفيؤخذ العبد المسي بما جنى

ان لم ينـــل ممـــن يحـــب مـــراده أيـــروح للاعـــداء يطلـــب المـــنى
قـــالوا الكـــرام فقلـــت ســـاداتي هـــم قـــالوا اللئـــام فقلـــت عبـــدهم أنـــا

وله أيضاً:

أقـــول لقلـــبي والحســـان كثـــيرة إلاّ كـــل حســـن تنظـــر العـــين تعشـــق
فقـــال ألا خلـــي ملامـــي في الهـــوى وكـــم مقلـــة قبلـــي الـــيهن ترمـــق
لحاظـــك قـــد أورت بجنبيـــك جـــذوة فهـــا أنـــا في نـــار اللـــواحظ احـــرق

وقال:

أتـــوق لرؤياهـــا اذا مـــا أفتقـــدتها وان قاربـــت أغضـــي حيـــاءاً وأبهـــت
أُســـارقها لحظـــي مخافـــة كاشـــح يـــرى فيســـىالظن فينـــا ويشـــمت
وكـــم اســـتعدن العتـــاب فـــان دنـــت تلجلجت عـن بعـض الخطـاب فأصـمت

وقال أيضاً:

كشـــفت محيـــا كنـــت قبـــل ســـترته كأنـــك للتقبيـــل ســـراً دعـــوتني
فقلـــت مـــذ اســـتحييت صـــحبي ندامـــة (هممـــت ولم افعـــل وكـــدت وليتـــني)[1]

---

١ - تضمن فيه صدر بيت البرجمي.
وتمامه: (تركت على عثمان تبكي حلائله).

وله:

سمح الدهر في وصال الخليل ... ربّ دهرٍ يكون غير بخيل
أيها الدهر قد فعلت جميلاً ... بدنوي من كل ظبي جميل
أهيف ما رنا بعينيه إلا ... والندامى ما بين هيف وميل
لم أشم قبل وجهه بدرتّم ... فوق غصن على كثيب مهيل
لم يمس في المزاح إلاّ يداه ... حذر القصف فوق خصر نحيل
فسكرنا لا في الحميا ولكن ... قد سكرنا بكلِّ طرفٍ كحيل
وسقينا صدا القلوب رضاباً ... هو فيها أحلى من السلسبيل
وقرأنا فما تركنا لقار ... من قوافي النسيب غير القليل
يوم قد أحسن الوصال حسين ... لي من بعد سوء صد طويل
بحديث وفي عناق وضمّ ... وارتشاف والفوز بالتقبيل
وسرور حكى سرور المعالي ... في شفاء المهدي بعد النحول

وقال:

ان كان يرضيك الذي أجريته ... أنا لا أُبالي زال أم أبقيته
وأخيبة المشتاق ان كان الذي ... أخفيته مثل الذي أبديته
قد كدت أهلك في غرامك قانطاً ... لولا رجائي بعض ما أوليته

مـــن مـــات قبلـــي في هـــواك تصـــبراً يـــا ليـــت شـــعري مـــا الـــذي جازيتـــه

وقال وفيه التوجيه من أنواع البديع:

أعـــداك خصـــرك أم عينـــاك أم جســـدي هـــذا الضـــنا أم رمـــاك النـــاس بالحســـد

فليـــتَ عـــينَ حســـودٍ قـــد رأت عجبـــاً مـــن وجنيتـــك رماهـــا اللّـــه بالرمـــد

أني أعيـــذك فيمـــا قـــد أُعيـــذ بـــه قـــدماً سمّيـــك مـــن ســـقمٍ ومـــن نكـــد

وســـورةُ (النـــورِ) مـــن خـــديك أتبعهـــا في (فجـــر) غرتـــك المـــوفي علـــى (البلـــد)

متفرّقات

وتحتوي على الوصفيات والمداعبات

وكتب الى أحد السادات يطلب منه فروة تقيه البرد في الشتاء هي من نظمه سنة ١٢٦٤ هـ:

ولمـــا تشـــاكينا ونحـــن ثلاثـــة مـــن الـــبرد أيامـــاً لغـــيلان تنســـب
وكـــل دعـــا مـــن لي بفـــروةٍ أتقـــي بهـــا الـــبرد أيـــام الشـــتا أتحجـــب
فقـــال امـــرؤ اني لخـــالي كاتـــب وقـــال امـــرؤ اني لعمـــي أكتـــب
وغـــيرك لا خـــال لـــدي ولا أخ ولا عـــمّ لي يرجـــى لـــذاك ولا أب
فجـدلي وكـم قـد جـدت قـدماً بتحفـة لهـا رحـت أذيـال المسـرة أسـحب
وكـم صـلة لي مـن يـديك ومثلهـا بطـي كتـاب جـاءني كنـت أرقـب
كـأني بهـم قـد عـدت والوعـد بيننـا ظفـرت وهـم ممـا يرجّـون خيبـوا
وأقـرأ شـعر ابـن الحسـين تمـثّلاً (وأعلـم قومـاً خـالفوني وغربـوا)[1]

ودخل الى دار صديقه الشاعر الحاج جواد بدكت الحائري في أحدى زياراته لكربلاء فرأى في الدار عبداً له اسمه (ياقوت) وهو يضج من رمد في عينيه فقال الكواز:

ألا ان ياقوتـــا يصـــوّت معلنـــاً غـــداة غـــدت عينـــاه ياقوتـــة حمـــرا

فأجابه الحاج جواد مرتجلا:

وقـــد صـــير الـــرحمن عينيـــه هكـــذا لاني اذا أدعـــوه ينظـــرني شـــزرا

---

١ - وفي البيتين تلميح وتضمين لقول احمد بن الحسين المتنبي من قصيدة له بمدح كافور:

وأعلـــم قومـــاً خـــالفوني فشـــرقوا وغربـــت اني قـــد ظفـــرت وخـــابوا

وكان جالساً مع صديقه الاديب الشيخ علي عوض في يوم عصفت فيه على الحلة ريح هوجاء فقال صاحب الديوان مرتجلاً:

قد قلت للحلةِ الفيحاء مذ عصفت فيها الرياح وبات الناس في رجف

ما فيك من يدفع اللّه البلاء به ان شئت فانقلبي أو شئت فانخسفي

فقال له العوض أيها الشيخ اني نظمت هذين البيتين قبل مدة في مثل هذه العاصفة على غير هذه القافية واندفع ينشده:

قد قلت للحلةِ الفيحاء مذ عصفت فيها الرياح وبات الناس في رعب

ما فيك من يدفع اللّه البلاء به ان شئت فانخسفي أو شئت فانقلبي

فقال له الكواز (أنت واللّه قلبتها في هذه الساعة).

وقال في طفيلي:

إذا سمع الوليمة عند قوم تمنى ذقنه منديل ايدى

ليصبح لاعقاً ودكا عليه تعلق من يدي عمرو وزيد

وأرسل قصيدة يهنئ بها صديقين له من أهل بغداد لهما إلمام بالاداب العربية فلم تنل منهما موقع الاستحسان وكان أحدهما أعرجاً والاخر أعمى فقال في ذلك:

مدحتهما في غادةٍ من قصائدي من الخدر قبل اليوم لم تتبرج

ولا حرج ان لم يقوما بنصرها فقد وقعت ما بين اعمى واعرج

وله من قصيدة قالها في وقعة دامية اتفقت بين قبائل زبيد وعشائر خزاعة وأحلافها من آل شبل وشلال أندحرت فيها زبيد بعد ما تركت كثيراً من القتلى والجرحى.

ووادٍ يسيل البخل فيه وما به ... لراجي الندى سيل يسيل ولا وبل

أتاك ابن شلاّل وتعلم ما به ... من الحزم حقاً لكن اغتالك الجهل

نجوت من الاسياف نجوة هارب ... تقوم مقام القتل ان فاتك القتل

وله:

يا رب لا تكلّن أمري الى بشر ... شر الحوائج ما كانت الى البشر

لا يفعلون جميلاً قبل مسألة ... كالعير لو لا اذى الباكور لم يسر[1]

وبعضهم لم تكن تخطو حوافره ... وان غدا دمه يجري على التفر[2]

---

١ - الباكور من مصطلحات العامة على العصا التي تساق بها الدواب.

٢ - التفر معروف يكون تحت ذنب الحمار وفي القاموس التفر محرك السير في مؤخر السرج.

وله مقطوعة غريبة في بابها وخمسها الحاج جواد بدكت الحائري في رثاء (شطب) انكسر في يد احد زعماء النجف من (الشمرت) حين اعتقلتهم الحكومة في الحلة ولم نعثر إلا على هذه الابيات منها[1]:

هـــو شـــطب أم رمـــح عنـــتر كانـــا وعجاجـــاً نـــرى بـــه أم دخانـــا
كســـروا رأســـه فكـــان كيـــوم كســـر المرتضـــى بـــه الاوثانـــا
مـــن يعـــزي يزيـــد شـــرّ البرايـــا قـــد كســـرنا قضـــيبه الخيزرانـــا

وزار الشيخ صالح وجماعة من الادباء دار المرحوم السيد مرتضى الطبيب في الحلة في يوم شديد البرد فانشدهم السيد المذكور بيتاً بالفارسية يصف فيه شدة البرد فترجمه الكواز الى العربية فقال:

ان هـــذا الـــبرد في شـــدته ضـــمَّ أعضـــائي واحـــنى قـــامتي
صـــار رأســـي بـــين رجلـــي فلـــم تتميـــز لحيـــتي مـــن عـــانتي

وله وقد رأى شيخا يشرب التنباك في (سبيل)

ولقـــد مـــررت علـــى غـــبيّ جـــالس في الـــدار يشـــرب مطرقـــاً بســـبيل
فكأنمـــا بيديـــه آلـــة حـــاقن وكأنمـــا فمـــه حتـــار عليـــل

---

١ - الشطب آل خشبية مجوفة اطول من ذراع كانت شائعة الاستعمال عند الرؤساء والاكابر يوضع في رأسها التبغ ثم يلقى عليه شواظ من النار ويجذب دخانه وقد ترك استعمالها في هذه الايام.

وكان نائماً ذات ليلة وفي البيت الذي هو فيه ديك فأكثر عند رأسه من الصباح ونبهه من نومه قبل انشقاق عمود الصباح فقال واجاد:

ملات المسامع مني صياحا أتنعى الدجى أم تحيي الصباحا
أم أنت نذير لمعتنقين قد رفع الليل عنهم جناحا
خشيت غيور الحمى أن يرى وصالهما فيثير الكفاحا
فناديت هبّا فما في المنام بلوغ مرام لراجٍ فلاحا
نصحت ورعت فلا تستحق هجاءاً ولا تستحق امتداحا

وله قصيدة يرثي بها أخاه الشيخ حمادي وخاله الشيخ علي العذاري وقد توفيا في عام واحد (١٢٨٣) هـ ولم نقف إلا على مطلعها وهو:

وقع السيف فوق جرح السنان خبراني لاي جرح أعاني

وله قصيدة في رثاء أحد العلماء الابرار ولم يصل الينا سوى مطلعها:

هو المحراب فابك له جزوعا عشية فارق البدر الطلوعا

تنبيه: لقد سقط سهواً من ابياته الثلاثة المثبتة ص ١٢٠ بيت رابع وهو الثاني منها:

أعلمته شوقي اليه فقال لي لك شاهد فيما إليّ تبوح

(انتهى الديوان)

مصادر الديوان

١ - أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين.

٢ - البابليات - محمد علي اليعقوبي.

٣ - الحصون المنيعة - الشيخ علي آل كاشف الغطاء (رحمه الله).

٤ - دمية القصر - السيد حيدر الحلّي[١].

٥ - العقد المفصل - السيد حيدر الحلّي[٢].

٦ - الرائق - الشيخ مهدي اليعقوبي[٣].

٧ - العبقات العنبرية - الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (رحمه الله) (خ).

٨ - مجموعة آل القزويني (خ).

٩ - مجموعة آل الرشتي (خ).

١٠ - مجموعة الشيخ محمد الملا (خ).

١١ - مجموعة الشيخ علي عوض (خ).

١٢ - مجموعة الشيخ علي العذاري (خ).

١٣ - ديوان السيد حيدر الحلّي (ط).

١٤ - ديوان الشيخ محمد الملا (خ).

---

١ - وهو من مخطوطات مكتبة الأستاذ الجليل محمد مهدي كبّة، وقد مرّ الكلام عنه ص ٩٠ من هذا الديوان.

٢ - وقد ألّفه باسم العلاّمة الأديب صديقه الحاج محمد حسن كبّة، وأهداه إليه (ط بغداد).

٣ - تأليف أخينا المرحوم الشيخ مهدي اليعقوبي من مخطوطات مكتبتنا، ويقع في ٥١١ ص، ونقلنا عنه جميع ما قاله الكواز في أهل البيت (عليهم السّلام)، وقد ذكره شيخنا الطهراني في الذريعة ١٠ / ٥٢.

فهرست أعلام الديوان

الاسم	الصحيفة
(أ)	
آدم	٣١، ٥٠
ابراهيم مجاهد الدين	١١
ابراهيم صادق العاملي	١٠٨
ابراهيم الوائلي	١٤
ابن أبي الحديد	١٢٢
ابن جذعان	٥٣
ابن نباتة السعدي	٢٢
ابن عماد الحنبلي	١١
أبوذر الغفاري	١٠٩
أبو الفضائل بن طاوس	٦
أبو تمام	١٧
أبو نواس	٦٦
أبو العلاء المعري	١٢٢
أبو قيس	١٠٢
أبو العاص بن الربيع	٣٣
أبو النجم العجلي	٥٦
أحمد المتنبي	٧٢، ١٣٢
أحمد الرشتي	٧٤، ١١٣
أحمد شالجي موسى	١٣
الأخرس البغدادي	١٢، ١١٥، ١١٨
الأرجاني	٣٥
اسماعيل الذبيح عليه السلام	٢٥
آصف	٥٠
الأمين (السيد محسن)	٤
الأموي الابيوردي	٤٠
أغا بزرك الطهراني	١٠٨
أيوب عليه السلام	٢٤، ٥٠
(ب) (ت) (ث)	
باقل	٩٧
البرجمي	١١٨
بلقيس	٥٠
تبع	٤٧
ثمود	٤٧
(ج)	
جابر الأنصاري	٨٥
جديس	٩٣
جذيمة الأبرش	٣٥
جرهم	٦٧، ١٢٦
جرير	٥٧

الاسم	الصحيفة
جعفر الطيار	٣٦
جعفر القزويني	١٠١، ١١٦، ١٢٠
جعفر كاشف الغطاء	١٠٤
جعفر كبة	٩٧
جعفر محبوبة	١٠٨
جواد كبة	٩٧
جواد بذقت	٨،١٠،١١،١٣٢،١٣٥
(ح)	
حاتم الطائي	٩٥
حاجب بن زرارة	٢٠
الحريري	٥٧
حسن الرشتي	٧٥
حسن الفلوجي	٤
حسن قفطان	١٠
حسن كاشف الغطاء	١٠٦
حسون البراقي	٨٠
الحسين بن علي عليه السلام	١٧
حسين القزويني	١٠١
حسين الطباطبائي	١٠٨
الحصين بن همام المرى	٢٢
حمادي الكواز	٣، ٩٣، ١١٨
حمادي نوح	٥٨، ٩٨
حمزة بن عبدالمطلب	٣٦
حنظلة بن صفوان	٧٣
حيدر الحلي	٥١،٤٧،٤، ٦٣، ٦٨، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨
(خ)	
خزاعة	٣٤
الخصيب	٩٥
الخضر عليه السلام	٧٤
الخليل عليه السلام	٥٠
خندف	٨٤
(د) (ذ)	
داود عليه السلام	٢٥، ٥٠
دعبل الخزاعي	١٢٢
ذا النون عليه السلام	٤٧
ذبيان بن بغيض	٢١
(ر) (ز)	
ربيعة	٥٨
رضا بحر العلوم	١٠١
رضا الرفيعي	١٠٦
الزباء الملكة	٣٥
زيد الشهيد	٢٣

الاسم	الصحيفة
زينب بنت الرسول (ص)	٣٣
زينب بنت علي عليها السلام	٤٠
(س) (ش)	
سالم الطريحي	٦٥
سبأ	٦٥
سعد الله باشا	٨٠
سليمان عليه السلام	٣٤
سيبويه	٦٧
شبل وشلال	١٣٤
شريف بن فلاح الكاظمي	١١٧
شيبة الحمد	٣٢
(ص) (ط)	
الصاحب بن عباد	٩٢
صادق الفحام	١٠٨
صالح النبي عليه السلام	٤٨
صالح القزويني	١٠١، ١١٧
صخر بن حرب	٢٢، ٢٦
صفية بن عبدالمطلب	٣٦
طالوت	٢٥، ٨٨
طسم بن لاوذ	٩٣
(ع)	
العباس بن عبدالمطلب	٣٣

الاسم	الصحيفة
العباس بن علي	١٠
العباس بن الأحنف	١٢١
عباس الملا علي	٩٠، ١٠٨
عباس العميدي	٧٠
عبدالباقي العمري	١٢، ١٣، ١٠٦، ١١٥
عبدالحسين شكر	١١
عبدالحسين الكواز	٦
عبدالله بن جعفر	٣٦
عبدالله بن الزبير	٢٢
عبدالله بن الكواز	٦
عبدالملك بن مروان	٢٢
عبد مناف	٣٤
عثمان بن عفان	١٩
علي بن أبي طالب عليه السلام	١١٧
علي بن موسى الرضا عليه السلام	١٢
علي عوض الحلي	٤، ١٢٤، ١٣٣
على العذاري	٤، ١٣٦
علي المطيري	٥١
علي نقي الطباطبائي	١٠١
العلامة الحلي	٧٠
عماد الدين الدمستري	١٢١

الاسم	الصحيفة
حميد الدين الحلي	٧٠
عيسى عليه السلام	٣١، ٥٠
عيسى شالجي موسى	١٣
(غ) (ف) (ق)	
غالب	٣٥
الفرزدق	٥٧
الفضل بن يحيى	٩٢
فهر	٤١
قس الأيادي	٩٧
قصير بن سعد	٣٥
قصي بن كلاب	٣٥
(ك) (ل)	
كاظم الرشتي	٧٥، ١١٣
الكسائي	٦٧
كسرى أنو شران	٢٠
كلاب بن مرة	٣٥
الكميت	٧٢
لبيد	١٠٠
(م)	
محسن أبو الحب	١٠
محسن الخضري	١٠٤
مدركة	٤١
مسلمة بن عبدالملك	٢٣
مصطفى كبة الكبير	٥٨
مصطفى كبة الصغير	٥٨
مصعب بن الزبير	٢٢
محمد التبريزي الحلي	١١٨
محمد بن جعفر الطيار	٣٦
محمد القزويني	٦، ١٢، ٥١، ٩٨، ١٠١
محمد الملا	٤، ٦، ٩٨
محمد النبي (ص)	٢٨، ٩٩
محمد كاشف الغطاء	١٠٦
محمد تقي بحر العلوم	١٠١
محمد حسن صاحب الجواهر	١٠٨
محمد حسن الشيرازي	٨٥
محمد حسين ربيع	٨٨
محمد رضا كبة	٥٨، ٦٣
محمد سعيد الحبوبي	٤٥، ٤٦
محمد صالح كبة	٥٨، ٦٣، ٩٠، ٩٣، ٩٦
محمد علي اليعقوبي	١٤
محمد مهدي البصير	١٢١
محمد مهدي كبة	٩٠

الاسم	الصحيفة
مرتضى الأنصاري	٩٥
مرتضى الطبيب	١٣٥
معن	٩٥
المقداد الكندي	١٠٩
موسى عليه السلام	٣١، ٤٥، ٥٠
المهدي الامام (ع)	٧٤، ٨٠، ١١٢
	١١٦
مهدي السيد داود	٤، ٥١، ٦٣،
	٩٨
مهدي اليعقوبي	١٣٧
مهدي الكواز	٦
مهدي كبة	٩٠، ٩٣
مهدي بن علي كاشف الغطاء	١٠٤
	١٠١
مهدي بحر العلوم	٤، ٥١، ٦٧، ٦٨،
مهدي القزويني	٨٥،
	١٠٦، ١٠٨
(ن) (و)	
النابغة الذبياني	٤٧
نجيب باشا	٨٠
نصر بن حجاج	٢٧
نمرود	٣١
نوح	٣١، ٥٠
وادي رئيس زبيد	١٣٤
(هـ) (ي)	
هاجر	٢٥
هبار بن الأسود	٣٣
هارون	٤٨
هاشم	٢٠
هشام بن عبدالملك	٢٣
هند بنت عتبة	٣٦
ياسين (ع)	٤٦
يعقوب (ع)	٢٤
يعقوب بن جعفر النجفي	٥٨
يوسف (ع)	٢٧، ٤٦
يوسف بن عمر الثقفي	٢٣
يونس (ع)	٤٧

الفهرس

ترجمة صاحب الديوان ٣
العلويات ١٥
المدائح والتهاني ٤٩
المراثى ٧٩
الحماسة والشكوى والعتاب ١١١
النسيب والتشبيب ١١٩
متفرّقات ١٣١
وتحتوي على الوصفيات والمداعبات ١٣١
مصادر الديوان ١٣٧